الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

الدور الثقافي والسياسي للنخبة الجزائرية في تونس

أحمد توفيق المدني أنموذجا 1900-1925م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبتين:

- آمال بوطيب
- هادية سمان

إشراف الأستاذ:

د. جمال زواري أحمد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. فاتح باهي	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	رئيسا
د. جمال زواري أحمد	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	مشرفا ومقررا
د. عبد القادر عزام عوادي	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 2024 / 2025

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

«سورة الأنفال » الآية 74

شكر وتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
الشكر لله عز وجل الذي أنار لنا الدرب، وفتح لنا أبواب العلم وأمدنا بالصبر والإرادة لإتمام هذه الرسالة، فله الحمد والشكر حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله. اللهم إن ما وصلنا اليه فهذا من فضلك وكرمك وتوفيقك، يا رحيم فلا تحرمنا من رضاك عنا ووفقنا لخدمة عبادك الصالحين.

ومن باب قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، فان الوفاء يقتضي أن يرد الفضل لأهله لذلك نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من كان له الفضل بعد الله في إخراج هذا البحث العلمي المتواضع الدكتور **جمال زواري أحمد** لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة والذي وجدنا فيه استاذا فاضلا معطاء، بذل الجهد وقدم التوجيه والرأي السديد، فجزاه الله عنا خير الجزاء وأمده الله بدوام الصحة والعافية.

كما نتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير للجنة المناقشة لتفضلها بقبول مناقشة بحثنا هذا، كذلك الشكر إلى كل من أعاننا بالتوجيه والكلمة الطيبة وحتى بالبسمة للوصول لنهاية هذا العمل.

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع هذا

إلى من كانت دعواتها سرّ نجاحي، إلى من سهرت لتسعدني،وضحت لتدعمني أمي الغالية لك وحدك تنحني الحروف احتراما،وترفع الكلمات امتنانا حفظها الله وأطال في عمرها وشفاها.

إلى مصدر ثقتي بنفسي ويد العون لي والمساعدة كلما احتجت لها أخي العزيز "مبارك " وأختي " أسمهان " فلكما كل الحب والتقدير.

إلى زوجي الغالي " جمال " شكرا لصبرك، تفهمك ودعمك المستمر الذي منحني دفعة للاستمرار، وفقك الله.

إلى أبنائي التلاميذ خاصة قسم السنة أولى،إلى زملائي الأساتذة ومديري بمدرسة " الهادي بوعزيز " لكم مني أصدق آيات الشكر فقد كنتم لي بيئة علم وتعاون وأخوة.

إلى أستاذي المشرف " جمال " الذي كان منارة فكر وموجهاحكيما، شكرا لحرصك ولكل ما قدمته من جهد كان نبراسا لطريقي.

إلى كل الأحباب والأصدقاء،من ساندوني بكلمة،بدعوة، ومن أكن لهم في قلبي معزة خاصة،أخص بالذكر " ع موساوي " وإمامي ومعلمي" عبد القادر اعيشي") أطال الله في عمركم وسدد خطاكم.

إلى رفيقة الدرب " هادية " إلى من كانت بجانبي في كل خطوة وتقاسمنا معا لحظات التعب والفرح وفقهاالله.

أهديكم هذه المذكرة، ثمرة اجتهادي ووفاء لا ينسى.

آمال

إهـــــداء

قال تعالى. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على ما بارك لنا في سعينا وله الحمد في الأولى والآخرة.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ...إلى مصدر الأمان.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ... ارجوا من الله أن يشفيه ويمنحه الصحة والعافية :

"والـدي العزيز محمد"

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني والتضحية ... إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب:

"أمـي الحبيبة زوليخة"

إلى رفيق الدرب وصديق الأيام جميعا بحلوها ومرها أهديه هذا البحث تعبيرا عن شكري لدعمه، كي أحقق طموحي العلمي

"زوجي الفاضل عبد الوهاب"

إلى من حلت بركة وجودهم في حياتي وزينة حياتي وبهجتها، الى الابتسامات التي تغدق علي الأمل أهدي هذا البحث، أولادي:

"هبة الرحمان، محمد ياسين، عبد الرحيم، مريم"

إلى من حبهم يجري في عروقي ويبهج بذكراهم فؤادي إلى **"إخواني وأخواتي"** وكل أفراد عائلتي .

إلى رفيقة الدرب " أمال" التي تقاسمنا معا لحظات التعب والفرح، قضيت معها أجمل اللحظات واحتفظت معها بأروع اللحظات، وفقها الله.

إلى زملائي في العمل بثانوية متقن جامعة من أساتذة وإداريين وعمال.

إلى كل من أغفله قلمي ولم يغفله قلبي...

هادية

قائمـــة المختصـــرات

الاختصار	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعريب
ج	الجزء
د ب	دون بلد النشر
د س	دون سنة النشر
د ط	دون طبعة
د م	دون مكان النشر
د م ن	دون معلومات النشر
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة.... الى الصفحة
ط	الطبعة
ط خ	طبعة خاصة
ع	العدد

مقدمة

مقدمة:

شكل الاحتلال الفرنسي للبلدان المغاربية تحولا عميقا في تاريخ المنطقة، حيث كانت الجزائر أولى ضحاياه في عام 1830م، حين تعرضت لاحتلال عسكري مباشر، أما تونس فقد خضعت للحماية الفرنسية سنة1881م التي أبقت على الإطار الشكلي للحكم المحلي لكنها جردت الدولة من سيادتها الحقيقية. ورغم اختلاف طبيعة النظام الاستعماري في البلدين فإن الأهداف الاستعمارية كانت واحدة تتمثل في الهيمنة واستغلال الموارد، ومحاربة الهوية الاسلامية العربية.

وأمام هذه الأحداث لم تستسلم شعوب هذين البلدين بل قاومت المحتل بكل الوسائل فظهرت العديد من المقاومات المختلفة سياسية وعسكرية وفكرية، أطرتها مجموعة من الشخصيات الوطنية البارزة في البلدين، الذين كان لهم دور فعال على المستوى الفكري والسياسي وعرفوا بفئة واعية الفكر، حرة القلم عملوا على نهضة المجتمع والحفاظ على مقوماته الوطنية، وتحرره من قبضة الاستعمار الذي حاول طمس الهوية الوطنية، ومن بين هذه الشخصيات الوطنية "أحمد توفيق المدني" الجزائري التونسي"، هذه الشخصية التي تعتبر معلما من معالم المدرسة التاريخية التونسية والجزائرية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في:

– معرفة ما قدمته النخبة الجزائرية المهاجرة في الحياة التونسية أيام الاحتلال.

– التعرف على جوانب من حياة المفكر والسياسي أحمد توفيق المدني، والتي كان لها دور كبير في التأثير على الشعب التونسي خاصة وشعوب المنطقة عامة.

– حقيقة الدور الثقافي والسياسي الذي لعبه المناضل المدني، خدمة للقضية التونسية أمام التواجد الاستعماري في الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين الى غاية إبعاده من تونس الى الجزائر.

أسباب اختيار الموضوع:

ساهمت عوامل عديدة في دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع مجالا للبحث منها أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

الأسباب الذاتية: منها الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام والشخصيات، وحب التعرف على المسار التاريخي الذي سلكه أحمد توفيق المدني الذي يجهله الكثير.

أما **الأسباب الموضوعية** فهي:

– المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية ببحث أكاديمي يبرز فيه دور نخبة جزائرية مهاجرة أو نخبة من أصول جزائرية ولدت بتونس، من خلال محاولة الكشف عن عمق الاتجاه الأصيل لدى الجزائريين الوافدين إلى البلاد التونسية بالمصير المشترك.

– تأكيد النشاط القوي والايجابي الذي لعبه الجزائريون في نهضة تونس، وهو نشاط لا يمكن تجاهله، ومن هؤلاء "أحمد توفيق المدني"، هذا الأخير الذي يجهله الكثير أو يتجاهله البعض فمنهم من ينسبه إلى النخبة التونسية ويتغاضى عن أصوله الجزائرية.

– الاهتمام بتراث "أحمد توفيق المدني" وفكره السياسي ومحاولة إبراز ما تزخر به الحركة الاصلاحية من التنوع باعتباره أحد أقطابها.

– دراسة هذا الموضوع وخاصة النشاطات الثقافية والسياسة للمدني تعتبر حلقة من حلقات البحث في الأعلام والشخصيات والتي تعتبر خدمة لتاريخنا.

– **إشكالية الموضوع:**

تدور إشكالية الموضوع حول أحمد توفيق المدني وإبراز دوره ونشاطاته الثقافية والسياسية في تونس إلى غاية إبعاده إلى الجزائر وبالتالي نطرح الاشكالية الآتية:

فيم تمثلت الاسهامات الثقافية والسياسية لأحمد توفيق المدني في الحياة التونسية قبل إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م؟

وللتفصيل أكثر في الموضوع ودراسته بأجزائه فإننا ندرج تحت الإشكالية الأساسية تساؤلات فرعية، وهي كالآتي:

– ما هي الآثار الإيجابية من هجرة الجزائريين إلى تونس خاصة الهجرات التي كانت في الربع الأخير من القرن 19م، أي بعد مقاومة المقراني والحداد سنة 1871م؟

– كيف كانت البيئة التي نشأ فيها المدني بتونس؟ وكيف ساهمت في صقل شخصيته التي أصبح عليها بعد ذلك؟

– ما هي مواقفه من الحركة الاستعمارية الأوروبية عامة، والاحتلال الفرنسي لتونس والجزائر خاصة؟

– كيف كانت اسهاماته ونشاطه الحقيقي لخدمة القضية التونسية إلى غاية إبعاده عام 1925م إلى الجزائر؟

حدود الدراسة:

فيما يتعلق بحدود دراستنا لهذا الموضوع، فهي تنحصر بين سنتي 1900 و1925م، وهي الفترة المحددة بمطلع القرن العشرين، هاته الفترة توافق بداية الاستفاقة السياسية التونسية وهي فترة خصبة للمشاركة الجزائرية في مختلف النشاطات الثقافية والسياسية الى غاية إبعاد المدني إلى الجزائر.

منهج البحث:

لدراسة هذا الموضوع انتهجنا في مذكرتنا منهجين أساسين هما:

– المنهج التاريخي الوصفي لاستعراض مختلف الوقائع والأحداث، وتتبع الأحداث التاريخية وترتيبها وفق كل مرحلة من مراحل البحث.

–المنهج التحليلي الذي سلكناه عندما قمنا بعرض وتحليل الأحداث وآثار المدني، واستنتاج الحقائق بكل موضوعية بعيدا من التحيز والذاتية.

الدراسات السابقة:

وخلال هذه الدراسة وحسب اطلاعنا لم نجد دراسة سابقة حول الموضوع من نفس الجانب أي الفترة الزمنية والمقتصرة على فترة المدني في تونس فقط، غير أنه يوجد من تكلم عن حياة المدني من المولد الى وفاته، منها:

مذكرة ماستر: أحمد توفيق المدني والمسيرة النضالية 1899–1983 للطالبتين إيناس حسني وهالة بن سعدون .

أهم المصادر والمراجع:

لإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع التي تعنى بالفترة الزمنية المدروسة لعل من أهمها:

– يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 –1954**، وشارل روبير آجرون: **المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871 – 1919**، حيث اشتعنا بهما في الفصل الأول لإبراز دوافع هجرة الجزائريين لتونس وآثارها.

– محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900–1962**، **وجيلالي** صاري: **بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850–1950**، اعتمدنا عليهما في الفصل الثاني للحديث عن حياة أحمد توفيق المدني وآثاره.

– أما في الفصل الثالث فقد اعتمدنا على مذكرات أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح** ج1وخيرالدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياحية والفكرية التونسية 1900–1939** اعتمدنا عليهما في الفصل الثالث لدراسة دور المدني الثقافي والسياسي بتونس.

الصعوبات:

لكل طالب علم وباحث صعوبات تعترضه، ومن المؤكد أنه لا تخلو أية دراسة من وجود صعوبات معرفية ومنهجية، بالإضافة إلى الصعوبات الشخصية، وفي بحثنا هذا صادفتنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها:

– وجود شح في الكتب من مصادر ومراجع حول شخصية المدني بصورة مباشرة وتحليلية خاصة منها الكتب التونسية التي تتكلم على الحركة الوطنية التونسية وفى أغلبها تمر مرور الكرام حول هذا الرجل.

– ومن الصعوبات الشخصية وهو بحكم العمل كأساتذة فكانت مشكلة الوقت أوفترة الانجاز تؤرقنا بسبب طبيعة العمل.

خطة البحث:

للإجابة عن التساؤلات المطروحة، وتبعا للمادة التي تحصلنا عليها قسمنا البحث إلى ثلاث فصول وكل فصل إلى مباحث أساسية.

تناولنا في الفصل الأول واقع الهجرة الجزائرية إلى تونس وآثارها، وقسمناه إلى مبحثين، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى دوافع هجرة الجزائريين إلى تونس، أما البحث الثاني أبرزنا آثار هذه الهجرة على البلدين الجزائر وتونس.

وفي الفصل الثاني وقفنا عند التعريف بأحمد توفيق المدني" في مبحثين الأول حول المولد والنشأة، والثاني مؤلفاته ووفاته.

أما الفصل الثالث وهو صلب الدراسة بعنوان الدور الثقافي والسياسي لأحمد توفيق المدني في مبحثين الأول حول دوره الثقافي، أما المبحث الثاني تتبعنا دوره السياسي إلى غاية ابعاده إلى الجزائر.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من مد لنا يد المساعدة في خروج عملنا هذا إلى الوجود ومع خالص تمنياتنا أن يكون لبنة في مشروع البحث حول دور النخب الجزائرية وفاعليتها وإسهاماتها الإيجابية في الأقطار المغاربية خاصة في تونس.

الفصل الأول: هجرة الجزائريين إلى تونس

المبحث الأول: دوافع الهجرة

المطلب الأول: الدوافع السياسية والاقتصادية

المطلب الثاني: الدوافع الاجتماعية

المطلب الثالث: الدوافع الثقافية والدينية

المبحث الثاني: آثار هجرة الجزائريين إلى تونس

المطلب الأول: آثار هجرة الجزائريين على التونسيين

المطلب الثاني: آثار هجرة الجزائريين على وطنهم

الفصل الأول: هجرة الجزائريين إلى تونس

إن الواقع المؤلم الذي عاشه الجزائريون في وطنهم جراء الاحتلال دفعهم إلى الهجرة إلى أقطار شتى مشرقا ومغربا لدواعي شتى، وكان لهذه الهجرة لا شك آثار متعددة سواء عليهم أو بالنسبة للبدان التي استقروا بها.

المبحث الأول: دوافع الهجرة

شهدت منطقة المغرب العربي خلال القرن 19 م تحولات جذرية نتيجة التوسع الاستعماري الأوروبي، وكان أبرز هذه التحولات احتلال فرنسا للجزائر، مما أدى إلى موجات كبيرة من النزوح والهجرة نحو دول الجوار وعلى رأسها تونس، ولم تكن هذه الهجرة مجرد تحرك سكاني عابر، بل كانت لها دوافع عميقة وأبعاد متعددة، منها ما هو سياسي نتيجة القمع والمقاومة، ومنها ما هو اقتصادي واجتماعي بسبب التدهور الذي لحق بالمجتمع الجزائري بسبب السياسات الاستعمارية التسلطية، فكانت تونس بحكم قربها الجغرافي ووشائجها التاريخية والدينية والثقافية مع الجزائر وجهة رئيسية للمهاجرين.

وخلال هذا الفصل سنسلط الضوء على أسباب هذه الهجرة واستخلاص الآثار المترتبة عليها في كلا البلدين.

المطلب الأول: الدوافع السياسية والاقتصادية

1-الدوافع السياسية:

لعبت السياسة التي دأبت فرنسا على إتباعها في الجزائر منذ 1871م لتحقيق أهدافها الاستعمارية دورا محوريا في دفع الجزائريين إلى الهجرة، حيث كانت سببا في هجرتهم إلى الخارج والهروب من جحيم الاستعمار، وترجع أسباب هذه الهجرة إلى ما يلي:

- فرض الخدمة العسكرية على الشبان الجزائريين مع عدم حصولهم على حقوقهم السياسية.
- مضايقة الأشخاص الذين يطالبون بالتصريح لهم من طرف المسؤولين الفرنسيين بالتنقل من مكان إلى آخر.
- إقامة محاكم استثنائية لفرض عقوبات صارمة.
- تصاعد نسبة الضرائب[1] ومن أهم القوانين الصادرة عن الادارة الفرنسية:

1- عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 210.

– قانون الأهالي أو ما يسمى بقانون الأنديجينا سنة 1871م، وهو بمثابة قانون أرقاء عنصري جعل من الجزائريين عبيدا لا يتمتعون من خلاله بأبسط الحقوق السياسية والمدنية، بموجبه يخول للسلطات الحاكمة في الولايات والبلديات توقيع العقوبات على الجزائريين ومصادرة ممتلكاتهم دون محاكمة[1].

– قانون 19 ديسمبر 1900م الذي سمح للجالية الأوربية في الجزائر أن تنشئ المجلس المالي ثم المجلس الجزائري وتمنع السكان المسلمين من الحصول على حقوقهم السياسية وعلى التمثيل النيابي العادل في المجالس البلدية أو المجالس الجزائرية.[2]

هذا المجلس بمثابة برلمان مستقل يشرف على سن القوانين التي تدير شؤون الجزائر، وكان للمستوطنين الأغلبية المطلقة، حيث لا يمثل المسلمون الجزائريون سوى ثلث المقاعد ونصيب من هذه المقاعد يتم بالتعيين.[3]

أوجدت فرنسا عام 1901 في البلاد مجلس النيابات المالية، فاعترفت للجزائر (الفرنسية) بمبدأ الاستقلال المالي، وهذا المجلس يمثل الثلثين من الفرنسيين، مقابل الثلث من الجزائريين الذين تتدخل الحكومة تدخلا فاضحا في انتخابهم. لكن الانقلاب العثماني والنهضة التركية أحدثا تغييرا في حالة البلاد المعنوية، فأخذ المسلمون يتذمرون.

ولقد نشأت في البلاد صحافة ضعيفة كانت تعبر عن استياء الرأي العام الإسلامي من حالته المزرية، وقد قام الأساتذة: أحمد بن اسماعيل بوضربة[4] والحاج عمار والصادق دندان منذ سنة 1910 بتأسيس صحف وطنية تكتب باللسان الفرنسي، وكانت تدافع عن رغائب المسلمين وعن حقوقهم مثل: صحيفة الهلال وصحيفة الرشيدي وغيرها.[5]

إن السبب الظاهري للهجرة هو قانون التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الشباب الجزائري تأهبا للحرب العالمية، لقد جاء القانون أثناء الحرب العثمانية الإيطالية على ليبيا 1912، وقيام فرنسا باحتلال المغرب الأقصى (1912) وجاء كذلك إثر سقوط

1– عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 129.

2– عبد الله مقلاتي: **المرجع في تاريخ الجزائرالمعاصر1830– 1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص ص125– 126.

3– **نفسه**، ص 126.

4– أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، (د. ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص159– 160.

5– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث واراء في تاريخ الجزائر**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج4، ص 196.

نظام السلطان عبد الحميد الثاني وانتصار لجنة الاتحاد والترقي التي كانت مدعومة وموجهة من الحركة الصهيونية.

وهكذا لم تحن الحرب العالمية الأولى حتى أصبحت حركة الهجرة من الجزائر نحو المشرق قد بلغت أوجها، وكانت في شكل حركات سياسية ونواد ثقافية، وكان طريق الحج طريقا للتواصل والتوصيل.[1]

في سنة 1914 ألغي الاعتقال الاداري للمسلمين (ولكن أبقى على الوضع تحت المراقبة) وخفضت الصلاحيات التأديبية، ودرست الاصلاحات السياسية والإدارية المتوقعة ولكن الحرب العالمية الأولى أدت إلى تأخيرها.[2]

انتهج الفرنسيون سياسة الاندماج وإصدار القوانين التي تجعل من الجزائريين رعايا أوروبيين يقيمون في بلد يخضع لقانون السيادة الفرنسية ولا يتمتعون بأية حقوق سياسية.[3]

فأصدرت فرنسا قوانين في 4 فيفري 1919 تلغي بها قوانين الأنديجينا وتسوي فيها بين جميع السكان من حيث الضرائب لأن الجزائريين كانوا يدفعون أكثر من الأوربيين، وكانت إلى جانب ذلك ضرائب خاصة بهم. ومن جانب الحقوق السياسية فقد اكتفت قوانين 4 فيفري بزيادة عدد الناخبين الجزائريين لأنه كان لا يشارك فيها إلا التجار وأصحاب الأملاك وخيبت هذه الإصلاحات آمال الجميع.[4]

2 – الدوافع الاقتصادية:

- الزراعة:

كانت الأحوال الاقتصادية سببا آخر مهما للهجرة، فقد كان الجزائريون يشتكون منذ سنوات طويلة إلى السلطات الفرنسية من الضرائب الثقيلة بالإضافة إلى ذلك فقد فقدوا أراضيهم بسبب الاستعمار الاستيطاني وبقوا في أغلب الأحيان عمالا فلاحين.[5] وتحولوا إلى

1- أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 196.

2 – شارل روبير آجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، مكتبة طريق العلم، جامعة دور، بيروت، باريس، 1982، ص 116.

3- عمار بوحوش: **المرجع السابق**، ص 156.

4- أحمد توفيق المدني: **المصدر السابق**، ص 162.

5- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج 2، ص 120.

مشردين وخماسين لدى المستوطنين ورجال الإقطاع، وظل قانون الأهالي يثقل الجزائريين (ضرائب، اعتقالات، تهميش...).[1]

لقد دعا إلى فرض ضرائب باهضه على الجزائريين الكثير من ساسة فرنسا وكتابها، منهم مترجم الجنرال سانتارنو"فاراون" الذي كتب في كتابه " حلقة من الغزو": "يجب أن نثقل كاهلهم بضرائب مرهقة حتى تتعذر عليهم الحياة، فلا يجدون ما يسدون به رمقهم، فيصبحون حينذاك بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن يثوروا، وإما أن ينخرطوا في الجيش الفرنسي".

لم تكتف فرنسا بحرمان الشعب من مصادر الرزق بل أثقلت كاهله بضرائب جائرة مثل:

- الضرائب العربية أهمها: العشور والزكاة التي كانت السلطات تستولي عليها، اللزمة، ضريبة الأكواخ والمساكن.

- الضرائب العامة (الفرنسية): الضرائب غير المباشرة، الضرائب المباشرة.[2]

كانت الطبقة الفلاحية تمارس زراعة خفيفة ضعيفة المردود، وأدى توسع أراضي الاستيطان وارتفاع أجور أراضي المرور وإغلاق مراعي الغابات إلى تقهقر الماشية وكان في الجزائر في عام 1865 حوالي 8ملايين من الغنم وفي عام 1885 نحو7.7 ملايين وعام 1900 نحو6.3 ملايين، كانت الأبقار الأهلية مليونا عام 1867، و1071000و846000 في عام 1900.[3]

انخفض الإنتاج الفلاحي للحبوب فإنتاج القمح عام 1860 كان يمثل 80 %من إنتاج الجزائر كلها، فأصبح عام 1900 نحو72 %وعام 1938 إلى 44 %، ونقصت المساحات المزروعة بالحبوب نقصا كبيرا عام 1887 و1903، ونقص المردود الفلاحي من 4.1 قنطار للهكتار الواحد إلى 3.7 قنطار، وفرض عليهم الإقطاعيون الأوربيون الكبار أن يبيعوا إنتاجهم الفلاحي والحيواني قبل الموسم بثمن بخس والاقتراض بالربا التي كانت تتراوح بين 40 و60 و100 %، بعد ذلك من السماسرة واليهود.[4]

1- عبد الله مقلاتي: **المرجع السابق**، ص 146.

2- بشير بلاح: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989**، (د. ط)، دار المعرفة الجزائر، ج 1، ص ص 160 – 161.

3- شارل روبير اجيرون: **المرجع السابق**، ص 99.

4- يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 –1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 36.

وتكاد تكون الفلاحة المورد الطبيعي الوحيد لسكان القطر الجزائري على الإطلاق وتتكون الأرض الفلاحية بالمعنى الصحيح من نحو عشرين مليون هكتار تتوزع كالتالي:

- 5000000 هكتار تملكها الدولة. - 4000000 هكتار تملكها البلديات.
- 2500000 هكتار يملكها المعمرون وهي أغنى الأرض وأخصبها.
- 8500000 هكتار يملكها الجزائريون وأغلبها من الأرض الفقيرة الجدباء.

إن الجزائريين على ضعف وفقر الأرض التي بين أيديهم، لا يجدون رؤوس الأموال الكافية لاستثمارها .[1] بينما المعمرون كانوا وحدهم الذين يتمتعون بالقروض ويحتكرون التجهيزات وهذا لسيطرتهم على الميزانية التي لم يكن ينال منها الجزائريون إلا الفتات.[2]

- الصناعة:

الصناعة قبل الاحتلال كانت أحسن تنظيما وأكثر تقدما حيث أن الحرفيين في الجزائر كانوا يجمعون في نقابات على حسب التخصص بحيث تجد الحدادين في شارع، والنجارين في آخر، والصباغين ...إلخ. وكل نقابة تسير من قبل أمين ينتخب بديمقراطية على حسب الخبرة والحكمة وحسن السلوك.[3]

اهتمت الدولة الجزائرية إلى جانب الصناعة التقليدية بمناجم المعادن المختلفة وتولي اهتماما أساسيا لصناعة الأسلحة والذخيرة الحربية، وصناعة السفن، وبعد الغزو أهملت الصناعة في الجزائر، ولقد نجحت السلطات الاستعمارية في مهمتها إذ ما كادت تندلع الثورة حتى اختفت صناعتنا التقليدية وصارت الجزائر تستورد كل شيء تقريبا.[4]

توجد أوصاف كثيرة للحياة الاقتصادية المزرية في الجزائر حتى خلال الحرب مثل ما ذكره أحد الكتاب المعاصرين من أن كل شيء في البلاد من المواد الغذائية وغيرها كان مقدرا ومقننا بدقة، وكانت السوق السوداء تغطي كافة إنتاج الجزائر، وكانت الوجهة الاقتصادية صعبة على السكان، رغم أن الجزائر كانت بلادا غنية بالمواد الأولية والاستهلاكية وكان

1- أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، ط1، المطبعة العربية، 1948، ص 51.

2- محمد حربي: **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر: نجيب عباد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 89.

3- محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر**، (د. ط) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ج1، ص ص 19-20.

4- المركز الخطابي للدراسات: **الملحمة الجزائرية**، السياق التاريخي لثورة التحرير الجزائرية (1954 – 1962) وأبعادها السياسية والاجتماعية والعسكرية، سوريا، 2022، ص 45.

يمكن أن تعيش على الاكتفاء الذاتي لو لم ترسل كل منتجاتها إلى الخارج لتغذي بها الفرنسيين فمخازن الجزائر أفرغت بحجة تغذية فرنسا.[1]

أما الصناعة الثقيلة في الجزائر فلم يكن لها وجود، وغالبا ما كان هناك صناعة غذائية وفلاحية تخدم الزراعة الأوروبية وورشات تصليحيه وليست إنتاجية.[2]

لقد كانت الصناعة ضعيفة جدا بالجزائر سواء الصناعة الأوربية أو بقايا الصناعة الأهلية فالصناعة الأهلية تتمثل في صناعة الثياب الصوفية من برانس وحياك وغيرها ونسج الزرابي وهي لا تستطيع منافسة الصناعة الأوربية التي تعتمد على المعامل الكبيرة.

أما صناعة الأسلحة والحدادة فقد كادت تنعدم أو انعدمت، وأخذت مكانها صناعة الزرابي والتطريز والخزف العناية الادارية.

كانت الصناعة الاوربية تعتمد على المنتوجات الفلاحية كصناعة المطاحن وعددها نحو150 تستخدم ما يقارب 4600 عامل وأهمها مطحنة الحراش ومعامل الدخان تعد 50 معملا في القطر يشتغل فيها نحو500 عامل.[3]

وكان الاقتصاد الفرنسي قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالاقتصاد الجزائري فالجزائري يستخرج المواد الخام ويرسلها إلى فرنسا لكي تتحول إلى مصنوعات ثم تعود إلى الجزائر مرة أخرى للتوزيع.[4]

وكان الأوربيون يوفرون 93 % من الاطارات العليا و83% من الفنيين و86 % من أعوان الوظيفة العمومية، والعمل الغير المختص من نصيب الجزائريين وكانوا يشكلون 95 % من العمال اليومين و68%من العمال قليلي الاختصاص و17%من الفنيين و7 % من الاطارات العليا وكانت هذه الهوة بين الجزائريين والأوربيين موجودة على جميع المستويات.

وهكذا نرى أن الأوربيين يحتلون الصدارة في الجزائر كأسياد حقيقيين للاقتصاد الجزائري.[5]

1- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945**، ج3، المرجع السابق، ص 188.

2- عبد الحميد زوزو: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 43.

3- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ، ص ص 389 – 391.

4- جلال يحي، ورشيد الناضوري وآخرون: **تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر**، الفترة المعاصرة، ط 3، دار القومية للطباعة والنشر، ق 2، 1966، ج3، ص 1179.

5- محمد حربي: **المصدر السابق**، ص 91.

- **التجارة:**

بقدر ما أنهك الاستعمار الصناعة فإنه خنق التجارة الخارجية التي كانت قبل الغزو الفرنسي مزدهرة، وتثبت المصادر بأن الجزائر قبل الاحتلال كانت تقيم علاقات تجارية مكثفة مع إفريقيا جنوب الصحراء ومع البلاد العربية وأروبا الغربية خاصة وكانت تدر على البلاد أرباحا كثيرة وتستثمر في سائر الميادين.

ثم جاء الاستعمار ولم يعد في استطاعة أي عاقل الحديث عن تجارة الجزائر الخارجية ولا توجد إلا عمليات احتكارية تقوم بها أقلية من المعمرين يجمعون الأرباح لأنفسهم.[1]

ولقد سيطرت الرأسمالية الاستعمارية على السوق الجزائري وفتحت المجال للبضائع الفرنسية لتقضي على الصناعات الأهلية وإنتاج الأهالي ووضعت اللجنة الأولى قرار إقامة الوحدة الجمركية بين الجزائر وفرنسا منذ عام 1851، ثم احتكر النقل البري والبحري وأخذت البضائع الفرنسية تغزو أسواق الجزائر بشكل واسع.[2]

وفي أيام الاحتلال وضعت حواجز مع تجارة تونس والمغرب الأقصى وجعلت التجارة معهما ممنوعة ثم زال ذلك سنة 1853 واستبدل بتعريفة جمركية في نفس السنة، وفي 17 جويلية 1867 صدر قانون يسمح بدخول البضاعة المغربية والتونسية بدون حواجز، ثم وضع قانون 1890 جعل البضاعة التونسية تدخل بمقدار محدد.[3]

ولقد ارتبطت المبادلات التجارية التي تجري مع فرنسا بالتجهيز الصناعي في الجزائر ونمو المزروعات التجارية ونقص المواد الغذائية التي يحتكرها المستعمرون، وكان ازدهار رؤوس الأموال الاستعمارية وتوظيفها في مختلف المشاريع سببا في تدهور طبقة الملاك الصغار الجزائريين حيث انخفض عددهم من 25 ألف عام 1920 إلى 21 ألف في عام 1951. وسيطرت الاحتكارات الفرنسية على مختلف مجالات العمل في ميدان الصناعة والتجارة والنقل عن طريق البنوك وكبار المعمرين.[4]

1- محمد العربي الزبيري: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 43.

2- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 49.

3- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 392 – 393.

4- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 50.

كانت قيمة الصادرات والواردات سنة 1927 حوالي 8 مليارات و357 مليون فرنك منها واردات 4836000000 أما الصادرات 3521000000، فالميزان الجزائري ميزان خسارة لا ميزان ربح لأن الجزائريين يشترون بما يزيد 1315000000 عما يبيعون، وذلك يؤدي للإفلاس.

وقد كانت أهم صادرات الجزائر: 7137000 هكتولتر من الخمر قيمته 1394000000 فرنكا و658 ألف قنطار من القمح ثمنها 108 ملايين، أما الشعير 825 قنطارا ثمنها 93 مليون فرنك والدقيق والعجين 69 مليون فرنك والخضر الجافة 46 مليون فرنك، والبطاطا 25 مليون فرنك ... إلخ.[1]

ومن أهم واردات الجزائر ما يلي:

القمح والدقيق(يختلف مقدارهما باختلاف السنوات)، السكر 137 مليون فرنك، القهوة 114 مليون فرنك، والمشروبات السكرية بدون كحول 54 مليون فرنك، الفحم الحجري 117 مليون فرنك، الخشب 109 ملايين فرنك، الحديد 74 مليون فرنك، الصابون والعطورات 105 ملايين فرنك، الورق 106 ملايين فرنك، الآلات المختلفة 256 مليون فرنك، واردات أخرى صغيرة مختلفة 257 مليون فرنك ...إلخ.

وينوب فرنسا وحدها من تجارة الجزائر 5 مليارات و974 مليون فرنك، حيث باعت فرنسا للجزائر ما قيمته 3 مليارات و535 مليون فرنك، واشترت منها ما ثمنه 2 مليارات و539 مليون فرنك.[2]

المطلب الثاني: الدوافع الاجتماعية

كان للعوامل الاجتماعية دورا أساسيا في دفع الجزائريين إلى مغادرة بلادهم إلى تونس بحثا عن ظروف حياة أفضل، وتتجلى أهم أسبابها فيما يلي:

1-سياسة الاستيطان:

اعتمدت فرنسا على سياسة استيطانية منهجه، تهدف إلى إحلال المستوطنين الأوربيين محل السكان الأصليين، بهدف جعل الجزائر امتدادا للأرض الفرنسية، وقد استندت هذه السياسة إلى مصادرة الأراضي، وتوطين الأوربيين وتغير البنية الاقتصادية

1- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 393 – 394.

2- **نفسه**، ص ص 394 – 395 .

والاجتماعية للجزائر بشكل يخدم مصالح الاحتلال.[1]فنشطت حركة الاستيطان الحر إلى جانب الاستيطان الرسمي بفضل قانون الأهالي (المعروف بقانون المستوطنين).[2]

2-القوانين الزجرية:

وقد توطدت أركان الاستعمار الاستيطاني، بإصدار عدة مراسيم وقوانين، انعكست سلبا على المجتمع الجزائري، وزادت من كارثية الوضع المحلي، وكان الكثير منها دافعاً للهجرة، منها قانون وارني Warnier لعام 1873، بتفتيت أراضي العرش المقدرة بـ 450832 هكتار، وتوزيعها على الأفراد ثم إجبارهم بعد ذلك بيعها للمعمرين الأوربيين.[3]

كما طبقت إدارة الاحتلال سياسة الزجر والارهاب ضد الأهالي، وبلغت قسوتها فأصدرت قانون الأهالي 28 جوان 1881 الذي جاء ذكره سابقا، فجاء في شكل سلسلة عقوبات زجرية منها لا صلة لها بالقانون العام عدد هذا القانون 41 مخالفة يعاقب عليها الجزائريون.[4]

وعملت سلطات الاحتلال على التوسع في تطبيق هذه الاجراءات الاستثنائية من السنة الأولى من صدور هذا القانون إلى قبل الحرب الكبرى .[5]

وقانون التجنيد الاجباري الذي صدر في 03 فيفرى 1912 الذي فرضته الادارة الفرنسية على الشباب الجزائري، استعدادا للحرب العالمية الأولى التي كانت على الأبواب[6] فجندت ما يزيد عن أربعمائة ألف جندي، وحشدت ثمانين ألف للعمل في المصانع والمناجم بدلا من العمال الفرنسيين المجندين .[7]

والمسلم الجزائري يقوم إجباريا بأعباء الخدمة العسكرية إلا أنه يجبر كذلك الاعتراف بأنه متطوعا في القيام بالخدمة العسكرية، فالمستدعي للخدمة العسكرية والذي يقرر

1- شارل روبير آجرون: ى**المسلمون الجزائريون وفرنسا، 1871 – 1919**، تر: محمد الحاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ج2، ص220.

2- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص32.

3- بشير بلاح: **المرجع السابق**، ص119.

4- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص38.

5- قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص127.

6- أبوالقاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص196.

7- يحي جلال: **المغرب الكبير**، دار القومية للطباعة والنشر، باريس، 1992، ص1048.

المجلس الصحي صلاحيته لها، ويقدم له 150 فرنكا، ويمضي إجباريا وصل استلامها، بصفته متطوعا، ويعمل تحت السلاح عامين متواليين، في حين الفرنسي والمتجنسين لا يعملان إلا عاما واحدا، وبعد انتهاء خدمته العسكرية يبقى مدة سبعة أعوام تابعا لغرف الاحتياط.[1] وهذا ما أدى بكل الطبقات الجزائرية وخاصة الأعيان على معارضة هذا القانون فباع الكثير منهم أملاكهم وأخذوا نساءهم وأطفالهم، وغادروا وطنهم[2].

3-سلب الحقوق:

سعت السلطات الفرنسية إلى حرب القيم الاجتماعية، حيث سلبت الجزائريين جميع حقوقهم في الوقت الذي يتمتع فيه المستوطنون بجميع الحقوق، حيث تمثل هذا في محاربة الاحتلال للشخصية الجزائرية[3] في حين أنه مكن أعضاء الجالية الأوربية من الاستمرار في مصادرة الثروة الأساسية للبلاد (الأراضي، التجارة... الخ)، مما نتج عنه انتشار الفقر بشكل واسع بين الجزائريين الذين أصبحوا يكونون طبقة عاملة في مشاريع الاحتلال المختلفة بثمن زهيد، وحرمان الجزائريين من الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها الأوربيون، مثل العلاج، المنح العائلية والضمان الاجتماعي إلى آخره، بالإضافة إلى إهمال القرى الجزائرية والأحياء التي سكنها الجزائريون في المدن من الخدمات الاجتماعية الأساسية، مما نتج عنه انتشار الأمراض ومختلف المشاكل الاجتماعية بينهم[4].

4-المستوى المعيشي:

تدني المستوى المعيشي للفرد الجزائري، خاصة بانتشار البطالة بشكل كبير، كما أدى انخفاض الأجور إلى انخفاض مستوياتهم الاجتماعية إلى أدنى المستويات مما جعل الأيدي العاملة تبحث عين ميادين للعمل لكي لا تموت البلاد جوعا[5]، بسبب كما قلنا سابقا استحواذ الاحتلال على معظم مصادر والثروة القومية في كل الميادين. فوصفت الجزائر بأنها «مملكة البؤس»، كما يقول" جاك مدولJeaqueMadol.[6] كما يصف الضابط بيليسييه دوربينو pollissier de Reyniad البؤس الذي صار فيه سكان مدينة الجزائر

1- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص442-443.

2- أبوالقاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائية**، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ج2، ص 122.

3- رابح تركي: **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص102.

4- **نفسه**، ص103

5- **نفسه**، ص ص 84 ، 85.

6 - رابح تركي: **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**: المرجع السابق، ص 85.

فيقول: «لا يوجد أي واحد يريد أن يتعمق في أسرار هذه الآلام: أطفال بؤساء يمدون أيديهم متسولين... لا أحد يبحث عن أسباب هذه الآلام...".[1]

5-تدهور الحالة الصحية:

خلفت كل الظروف البيئية حالة يرثى لها صحيا، فكثرت الأمراض والاوبئة وانتشرت الوفيات بشكل خطير جدا خاصة الكوليرا، الذي أدى إلى إبادة قبائل بأكملها. [2]

وكانت وفيات كثيرة كذلك نتيجة البؤس والفقر وانخفاض المستوى المعيشي، وضيق الأكواخ وتكدس السكان فيها بكثرة مما أدى إلى ظهور الأمراض المعدية، هذا زيادة على معدل السعرات الحرارية التي يتناولها الجزائريون لا تتجاوز 1500 وحدة كالورية يوميا، في حين يتناول الأوربيون 3000 وحدة كالورية في اليوم الواحد، بالإضافة إلى نقص فادح في الاطارات الطبية والمؤسسات الاستشفائية، فمثلا في الجزائر العاصمة يوجد بها 78 طبيبا لكل من 100 ألف شخص، [3]وبعض الجهات طبيب واحد لكل عشرة ألاف، ولكل ثلاثين ألف شخص خاصة في أقاليم الجنوب. وليس في الجزائر كلها سوى 149 مستشفى منها 12 عسكريا 28 مستوصف، غير أن أغلبها يفتقر إلى أبسط وسائل العلاج.[4]

المطلب الثالث: الدوافع الثقافية والدينية

1-الدوافع الثقافية:

- الهوية:

عمل الاحتلال الفرنسي كذلك على فرض سياسة تهدف إلى طمس الهوية الجزائرية، حيث حارب الاحتلال الشخصية الجزائرية في مجالات عديدة منها الاستيلاء منذ الأيام الأولى على الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بالإنفاق على التعليم والثقافة، وصادر معظم معاهد التربية والتعليم العربية التي كانت موجودة في الجزائر، كما عمل على جعل

2-عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 456.

2 - صالح فركوس: **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م – 1962 م)**، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة، 2002، ص209.

3- يحي بوعزيز : **المرجع السابق**، ص58.

4- **نفسه**، ص59.

التعليم في جميع المدارس الحديثة باللغة الفرنسية وحدها، بالإضافة إلى فرنسة الادارة كاملة، وحارب اللغة والثقافة العربية.[1]

كما قامت الإدارة الفرنسية على طمس الهوية الجزائرية بمحاولة تجريدها من الشخصية الجزائرية، مع خلق طبقة مفرنسه [2]من الجزائريين والتي تخدم مصالحهم وعملت على قطع الصلة بين الجزائريين وهويتهم من جهة، وعزلهم عن الثقافة العربية الاسلامية في الجزائر وإلحاقهم بالثقافة الفرنسية[3].

ويبرز ذلك بتفصيل أكثر في الدوافع الثقافية الأخرى التي سوف يأتي ذكرها في العناصر الموالية، خاصة محاربة التعليم العربي، واللغة العربية، والدين الإسلامي. إذن هجرة الكثير من الجزائريين نحو تونس كذلك بدافع الحفاظ على هويتهم، وأصبحت تونس ملاذا للطلاب والعلماء الجزائريين الذين سعوا للحفاظ على ثقافتهم وتعليمهم.

التعليم:

طبق في الجزائر النظام التعليم الفرنسي، الذي بدوره حارب التعليم التقليدي السائد في الجزائر ما من شأنه محاربة الثقافة العربية الاسلامية، من كل معاهد العلم والتعليم، وفرضت قيود صارمة على التعليم في المساجد[4]، كما عملت على تعطيل المؤسسات الخيرية والمؤسسات التعليمية والتي أصبحت تندثر شيئا فشيئا، لأن التعليم كان يعطى في المساجد وفي الزوايا والتي كانت عادة تحت سلطة الجمعيات الدينية، وقد كان التعليم حرا في جميع المستويات، لأن الطلبة والأساتذة أيضا كانوا يتقاضون مرتباتهم من الأوقاف.

ولقد تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على هذه الأوقاف، ومنه الاستيلاء على الأملاك التعليمية والدينية، وحولوا الكثير من المساجد إلى كنائس، حيث صرح ديتوكفيل:"... لقد عطلنا المؤسسات الخيرية وهكذا تركنا المدارس تموت والندوات العلمية تندثر". إذن اختفاء

1- تركي رابح: **المرجع السابق**، ص103.

2-**نفسه**، ص120.

3- بشير يلاح: **المرجع السابق**، ص84.

4- تركي رابح عمامرة: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية "19311953" ورؤسائها الثلاثة**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص64.

المؤسسات التعليمية كان يعني اضطهاد اللغة الوطنية وهي العربية[1].إذن السيطرة على عقول وفكر الجزائريين، وقد قامت الحكومة الفرنسية بفتح أبواب المدارس شيئا فشيئا سنة 1883.[2] لكن التعليم كان فرنسيا محضا، لا عربيا ولا جزائريا، فاللغة الفرنسية هي لغة الوطن، وفرنسا هي الوطن، وكان الهدف منها تقريب الجزائريين من فرنسا بواسطة تعليمهم لغة الدولة المحتلة وآدابها وعلومها حتى يسهل ابتلاعهم وإدماجهم.[3]

وانتهجت في المدارس استبعاد تدريس تاريخ الجزائر العربي والاسلامي، ونهب المخطوطات والكتب منها ما أحرقوه ومنها ما أتلف، وما تم نقله لفرنسا.[4]وفتح المجال للمبشرين الكاثوليك والبروتستانت، حيث استهدف الاحتلال غايتين أساسيتين أولهما غزو الأرض، ثم غزو العقل والفكر والوجدان، فتم تنفيذ الأولى بنجاح وأسند الغرض الثاني لرجال الدين المسيحي باعتبار الدين الاسلامي مركز قوة المجتمع الجزائري.[5]

ونظمت الإدارة الفرنسية نوعين من التعليم تعليم من الدرجة الأولى للمستوطنين، وتعليم من درجة ثانية تحت مسمى "التعليم الأهلي" والخاص بأبناء الجزائريين.[6]، كما كان للاحتلال سياسة تحديد عدد التلاميذ الجزائريين في التعليم في الربع الأول من القرن 20م، فمثلا الأطفال الجزائريين في التعليم الابتدائي الفرنسي يكونون 02 فقط لكل مائة من السكان الجزائريين بينما يعلم أبناء الأوربيين في نفس المرحلة نسبة 11 طفل لكل مائة من السكان الأوربيين، لذلك نجد أكثر من مليون ونصف مليون من الأطفال الجزائريين في سن التعليم الابتدائي خارج قاعات التدريس.[7]

كما أصدرت فرنسا قوانين للتضيق على التعليم العربي منها القانون الصادر في تاريخ 24 ديسمبر سنة 1904 ينص:" لا يسوغ لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل العمالة أو قائد الفيلق العسكري، وفتح مكتب بدون

1- أبوالقاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط6، ج2، المرجع السابق، ص 61.

2-أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص 140.

3- **نفسه**، ص 141.

4- بشير بلاح: **المرجع السابق**، ص84.

5 -عمراوي حميدة وآخرون: السياسة **الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 – 1916** ، دار الهدى ، 2009 ، ص100.

6- عبد القادر حلوش: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر 2010، ص229.

7- تركي رابح : **المرجع السابق**، ص 149.

رخصة يعد اعتداء على القوانين الخاصة بالأهالي وقانون 1938 الذي يعتبر اللغة العربية أجنبية في بلادها[1]

إذن في ظل الاحتلال الفرنسي كان التعليم من أبرز الدوافع التي دفعت الجزائريين إلى الهجرة نحو تونس، حيث سعى الكثير للحصول على فرص تعليمية لم تكن متاحة لهم في وطنهم بسبب السياسة الاستعمارية.

- الصحافة.

لقد فرض الواقع الاستعماري على الجزائريين إجراءات تعسفية بمحاولة عزلهم عن العالمين العربي والاسلامي، ورغم ذلك لم يحول دون إطلاع الجزائريين على ما يحدث في المشرق أو المغرب، والأفكار التي ترفض الاستبداد والاحتلال[2]

ذلك أن الكولون قد احتكروا الصحافة إلى سنة 1900، فعلى المستوى الرسمي كانت هناك صحيفتان حكوميتان فقط، أنشأتا ووجهتا من الادارة الفرنسية في الجزائر، فالأولى هي الأخبار وهي صحيفة أسبوعية بالفرنسية أسست سنة 1839، وفى 1909 أصبحت تصدر باللسانين (ست صفحات بالفرنسية وصفحتان بالعربية)، وقد استمرت في الصدور إلى سنة 1934. أما الصحيفة الحكومية الثانية فهي "المبشر" التي تأسست في15 سبتمبر 1847 التي كانت تصدر باللغة العامية (الدارجة) إلى جانب الفرنسية.[3]

ومع التضييق المفروض على الصحافة استغل الجزائريون فرصة الاطلاع على الصحف المشرقية والمغربية التي تصل عن طريق تونس، وعن طريق المغرب الأقصى، فكانت تهرب عن طريق حقائب الحجاج. فالصحف الشرقية تدعو الجزائريين إلى فك قيود الاستعمار، والتمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية، وأدركت الادارة الفرنسية تأثير الصحف العربية والمشرقية في الرأي العام الجزائري فسارعت إلى إنشاء صحف باللغة العربية منها "صحيفة الجزائر "سنه 1900.[4]واتخذت في المقابل إجراءات قمعية، وفرض قيود ضد

1- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص96.

2 - ناصر محمد: **المقالة الصحفية الجزائرية "نشأتها تطورها، أعلامها " من 1903 إلى 1930**، مكتب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2014، ج1، ص24.

3- **نفسه**، ص24.

4- الزبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د س، ج4، ص30.

العديد من الصحف في 20 جويلية 1900 منعت جريدة المقتبس، والمشكاة من دمشق السورية. وتكرر هذا المنع بشدة ضد الصحف التونسية والمصرية[1]

2-الدوافع الدينية:

يعتبر العامل الديني من الدوافع التي أدت إلى هجرة الجزائريين نحو الخارج خلال فترة الاحتلال الفرنسي، خاصة نحو تونس التي كانت تمثل آنذاك بيئة أكثر ملاءمة للحفاظ على الهوية الاسلامية والتعليم الديني. ويمكن تلخيص هذه الدوافع في النقاط التالية:

- الادارة الفرنسية كانت أول خطوة اتخذتها في هذا الميدان هي اصدار قرار 8 سبتمبر عام 1830 الذي استولت بمقتضاه على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في سائر جهات البلاد، وفي يوم 7 ديسمبر 1830 أصدرت قرارا آخرا أعطت الحق لنفسها في أن تتصرف في تلك الأوقاف الاسلامية بالتأجير والكراء وغيرها.[2]

-الاحتلال لم يكتف بمصادرة أملاك الأوقاف، بل بسط نفوذه التام على جميع الشؤون الاسلامية، في العدل وتعيين القضاة المسلمين، وتسمية الأئمة، وإعلان المواسم الدينية.[3]

-كما عمدت إلى تحويل المساجد إلى كنائس وكاتدرائيات وثكنات، فأمر "روفيقو"يوم 18 ديسمبر عام 1837 بتحويل جامع كتشاوة بالعاصمة إلى كاتدرائية، ثم تتابعت عمليات التحويل هذه حتى لم يبق بالعاصمة وحدها سوى أربعة مساجد من بين 160 مسجد، والزوايا كلها حولت إلى كنائس ومراكز شرطة واصطبلات لخيول الحرس المتجول

-ولم تكتف بكل هذا، بل وضعت المساجد والزوايا الباقية تحت الرقابة الشديدة، وأصبحت تراقب عن كثب خطب الوعاظ والأئمة والمرشدين، وترسم لهم بنفسها الاتجاه العام للخطب، وأشد من هذا كانت تعين جواسيس لخدمة مصالحها. [4]

-قامت الإدارة الفرنسية أيضا بهدم الكثير من المساجد في شتى أنحاء القطر الجزائري بحجج، إما لتوسيع الشوارع أو لإقامة بنايات جدد محلها، وقد علق "فاغتر الألماني" على

1- الزبير سيف الإسلام: **المرجع السابق**، ص30.

2 - يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص66.

3- أبوالقاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط6، ج2، المرجع السابق، ص120.

4- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص67.

هذه الوحشية العنصرية بقول «هكذا اعتدت فرنسا على حرمات المسلمين وتلك ما لن يغفره لها الجزائريون ولن ينسوه أبدا"[1].

-وبقدر ما عملت السلطات الاستعمارية على إذلال المسلمين والاستهتار بالدين الاسلامي، وتحطيم كيانه كانت تنشر الديانة المسيحية والحركات التبشيرية، واستغلت صدور قانون 27 سبتمبر 1907، والذي يقضي بفصل الدين عن الدولة بالجزائر، فأخذت تشجع نشر المسيحية وتخصص لها ثلاثة أرباع ما خصصته لشؤون الدين الإسلامي، مع أن عدد المسلمين أكثر عشر مرات من أعداد أتباع الأديان الأخرى.[2]

وأمام سياسة الاحتلال الدينية هذه رأى بعض الجزائريين أنه لا مستقبل لهم في بلادهم، فذهبوا ينشدون ملجأ لهم في الخارج، وهذا رغبة منهم للحفاظ على هويتهم الدينية أمام سياسة القمع والتغريب. [3]

المبحث الثاني: آثار هجرة الجزائريين إلى تونس

المطلب الأول: آثارها على التونسيين

1 ـ الآثار الثقافية:

لقد كان للجزائريين مساهمة كبيرة وبارزة في العمل الصحفي التونسي، حيث بدأت الصحف التونسية تصل إلى الجزائر بداية من مطلع القرن العشرين، وحتى سنة 1912، وقد لاقت الصحافة التونسية اهتمام الكتاب الجزائريين سواء المهاجرين منهم أو المستقرين بالجزائر وهذا لما توفر لها من حرية، وكان للجزائريين دور فعال فيها من خلال المشاركة في تحريرها أو ترأسها وفى طليعة هذه الصحف جريدتي الحاضرة والتونسي، لكن هذا النشاط توقف بعد 1912 إلى غاية 1920 وهذا بسبب الحرب العالمية الأولى. [4]

1- نصيرة زهيرة لين: **التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830 – 1962)**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص91.

2- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص67.

3- أبوالقاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط6، ج2، المرجع السابق، ص121.

4- خير الدين شتره: إسهامات **النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، 1900 –1939**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 173 .

ومن أبرز الجزائريين المهاجرين في تونس، والمساهمين في هذا المجال من الطلبة "علي بوشوشة" [1] الذي أسندت إليه إدارة جريدة الحاضرة سنة 1888، من خلالها سعى إلى توعية المواطنين من خلال مقالات متنوعة ومختلفة، وأصبح مقر جريدة الحاضرة الذي يجتمع فيه أركان الحركة الاصلاحية وأركان جماعة العروة الوثقى (البشير صفر، الشيخ السنوسي والشيخ سالم وآخرون) وهي الجماعة التي تشن حملاتها ضد سلطات الاستعمار من خلال جريدة الحاضرة.[2] فدور بوشوشة في هذه الصحيفة كان المصلح الذي يطمح في اصلاح الشعب التونسي في أخلاقه وفى سائر أعماله.[3]

ومن بين أعمال بوشوشة ترجمة بعض الأعمال الفرنسية إلى العربية مثل: أطروحة الدكتوراه لمحمد العربي الجزائري عن الطب العربي في الجزائر، واشتملت الحاضرة أيضا أخبار الأدباء والكتاب الجزائريين الذين وجدوا فيها مجالا لنشر شعرهم وأدبهم، ومن أمثال هؤلاء محمود كحول وعمر بن قدور، ومن أبرز المقالات التي نشرتها الحاضرة للكاتب علي بوشوشة، "فرنسا والاسلام"، "أخطار البذاءة "...الخ [4]

وفى سنة 1904 أصدرت أول مجلة تونسية من تأسيس جزائري" الخضر الحسين "[5] هي مجلة السعادة العظمى، وفى مطلع 1911 برزت جريدة المشير لصاحبها الجزائري "الطيب بن عيسى"، ومن الجرائد التي نالت رواجا في الميدان الثقافي والاصلاحي والأدبي جريدة

1- **علي بوشوشة:** من عائلة جزائرية، هاجرت إلى تونس وبالضبط مدينة بنزرت، درس بالمعهد الصادقي بعد ما أدخله أبوه الكتاب ثم إلى الجامع، ثم أكمل دراسته بإنجلترا أين قضى ثلاث سنوات بها، وفي سنة 1881م عاد إلى تونس، حيث أسمى سنة 1888 جريدة الحاضرة كما ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896، نفسه، ص 315.

2-أحمد إسماعيل: تاريخ **أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا،** ط1، دار النهضة العربية، بيروت 2004، ص99.

3 -خير الدين شتره: **المرجع السابق،** ص175 .

4- الوافي سمية: كتابات **الجزائريين في الصحف التونسية 1906** -1949، جامعة سيدى بلعباس، 2022، ص123.

5-**الخضر الحسين (1874 -1908):** من أصل جزائري، وأسرته ترجع إلى البيت العمري بطولقة. ولد بنفضيه، ثم انتقل مع والده إلى تونس العاصمة ودخل الزيتونة حيث حصل على شهادة التطويع، وفي سنة1904 أصدر مجلة " السعادة العظمى"، ثم تولى القضاء في بنزرت 1904، ثم درس بالجامع الزيتوني والصادقية .... خير الدين شترة، **المرجع السابق،** ص321 .

العدلية لصاحبها "الهادي بن أحمد عباس يشاركه في تحريرها عبد العزيز الثعالبي[1] بمقالاته الشهيرة .[2]

وقد استطاع الجزائريون أن ينشؤا ما بين 1888و1921 عدة جرائد في تونس أهمها: الحاضرة، سبيل الرشاد، إظهار الحق، السعادة العظمى، المنصف، الاتحاد الاسلامي، المشير، وغيرها.[3]

في بداية العشرينات شارك طلبة البعثة الذين تعلموا بالزيتونة في الحياة الفكرية، من خلال إنتاجهم الأدبي والصحفي، حيث دفع الإمام عبد الحميد بن باديس بهذا الجيل ليكون وريثا لتلك الارهاصات التي بادرها الصحفيون الجزائريون.[4]

وما بين من 1910و1925 عرف أحمد توفيق المدني بتعدد نشاطه وغزارته، وهذا بفضل علاقته المتميزة مع الصحافة التونسية، وعضويته في الحزب الدستوري التونسي، وقد شمل نشاطه معظم الجرائد والصحف في تونس، منها مجلة الفجر ومجلة العرب سنة 1920، [5] وهذا سوف يأتي ذكره بتفصيل أكثر في الفصول الآتية.

أما في مجال العلم والتعليم ظهرت ثله هامة من الصفوة الجزائرية، التي ساهمت في الحياة العلمية والتعليمية التونسية، إن الشيخ الخضر حسين يعتبر واحدا من تلك الصفوة التي كان لها دور فكري كطالب بتونس، حيث تقدم بأول محاضرة علنية قامت في تونس في نادي قدماء الصادقية عام 1906 بعنوان «الحرية في الاسلام»، والتي طبعت بعدها في كتاب مستقل، كما ألقى دروسه العلمية تطوعا في جامع الزيتونة، وطبع منها أربع مجلدات ثم عين استاذ في عام 1908 بالمدرسة الصادقية، وبالمقابل رفض أن يكون قاضيا أو مستشارا في محاكم تابعة للاستعمار، وهذا موقف مشرف للنخبة الجزائرية، وكان ينظم

1-**الثعالبي عبد العزيز**: (1874-1946) : من أصل جزائري ولد بتونس العاصمة سنة 1874، زيتوني الثقافة شارك تأسيس وتحرير العديد من الصحف منها سبيل الرشاد 1895 الاتحاد الإسلامي 1909 وكان أب الحياة السياسية التونسية بتأسيسه الحزب الحر الدستوري، خير الدين شترة، **المرجع السابق**، ص317 .

2-خير الدين شتره: **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة، 1900-1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص524.

3-رضوان شافو: **انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830 – 1954**، ص16.

4- الوافي سمية : **المرجع السابق**، ص125.

5 – **نفسه**، ص126.

القصائد وكتابة المقالات، وإلقاء المحاضرات في مختلف الشؤون التونسية، إلى جانب مهامه التدريسية في مدارس الزيتونة أو الصادقية والخلدونية. [1]

كذلك الزعيم "عبد العزيز التعالبي" إلى جانب دوره السياسي كان له دور وحضور فعال قلمي وتعليمي مهم، حيث عمل خلال رئاسته للحزب الدستوري على نشر التعليم العربي والثقافة العربية في تونس، فقام بفتح المدارس والكتائب التي تدرس الناشئة اللغة العربية، وتأكيد إصلاح المدرسة الصادقية، وإصلاح التعليم بجامع الزيتونة [2]، وأصدر سنة 1905 أول كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان «الروح الحرة للقرآن»، حيث كان الشيخ عبدالعزيز خطيبا، ومحاضرا جيدا، وكاتبا صحفيا بارعا، وعالما ومؤلفا قديرا، فاتخذ من لسانه وقلمه أداتين لكفاحه السياسي والاجتماعي والتعليمي والفكري، فكان لكتاباته آثارها البالغة في نفوس العرب والمسلمين عامة، والتونسيين خاصة .[3]

كما نجد الشيخ "عبد الحميد بن باديس" [4]، الذي قضى أربع سنوات دراسية (1908 – 1912) بجامع الزيتونة عمل مدرسا فيه في السنة الرابعة والأخيرة، تعمقت خلالها علاقاته بالشيخين "محمد النخلي"، و"محمد الطاهر بن عاشور". [5] غير أن هذه الصلات لم تمنعه من مناقشة شيوخه والتصدي لآرائهم، حيث قال عن نفسه: « إنني أمرؤ جبلت على حب شيوخي...وعلى احترامهم ....ولكن ماذا أصنع إذا ابتليت بهم في ميدان الدفاع عن الحق ونصرته»، ومن أهم القضايا التي اصطدم فيها مع شيخيه الطاهر بن عاشور خاصمه في مسألة تعلقت بقراءة القرآن على الأموات، وكذلك في قضية التجنس [6]، ولمكانة الامام ابن باديس العلمية والاصلاحية، وما قام به من نهضة علمية في الجزائر، صار عندما

1- خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، المرجع السابق، ص232 .

2- **نفسه**، ص232.

3- عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، دار القدس، بيروت، 1975، ص9 .

4 – عبد الحميد بن باريس: ولدفي4 ديسمبر 1889 من عائلة مشهورة في قسنطينة بالعلم والثراء حفظ القرآن الكريم، التحق بجامع الزيتونة 1908، وتخرج منها متطوعا ما 1919 بدأ حياته كواعظ بمسجد قسنطينة. ليؤسس بدءا من 1925 عدة جرائد المنتقد والشهاب ثم مساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ 1931 حيث ترأسها الى غاية وفاته، عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسه نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 28 .

5 –**جريدة البصائر**، عدد16، الجزائر، 24 أفريل ، 1936 .

6 –خير الدين شتره: إسهامات **النخبة الجزائرية**، المرجع السابق، ص236.

يزور تونس يحتفل به علماء الزيتونة، وتقام له عدة لقاءات علمية وأدبية يخطب فيها زعماء الاصلاح، ويتحاورون ويتناظرون. [1]

والشيخ "إدريس الشريف الجزائري" قضى سبع سنوات في جامع الزيتونة، وكان يشغل منصب مصححا بالمطبعة الرسمية بتونس، وفي عام 1920 عاد إلى بنزرت مسقط رأسه، وتفرغ للتأليف والتدريس وقد عرف بدروسه، التي استفاد منها خيرة شباب تونس[2]. ونظرا للمكانة والثقة التي كان يتمتع بها الشيخ بين مواطني بنزرت، أسندت إليه الامامة بالجامع الكبير يومي الخميس والجمعة عام 1921، إلى غاية وفاته عام 1936 أين خرجت بنزرت كلها في جنازته. [3]

كما كان من أبرز خريجي المدرسة الخلدونية الجزائري "محمد الميلي" الذي نال منها شهادة البكالوريا ليساهم فيما بعد بتونس في إحياء التراث القومي، وبعث نواة تعليم تونس المستقبل العصري المعرب، فمحمد الميلي كان إطار بالبريد وانتدب للزيتونة لتدريس الرياضيات بها، فكان بذلك من الرواد الذين قامت على كواهلهم شعبة العروبة الزيتونية، وتجربة تعريب العلوم الصحيحة الأولى من نوعها في تونس. [4]

بالإضافة إلى العديد من العلماء والمشايخ الجزائريين الذين ساهموا في الحياة العلمية والتعليمية في تونس من مدرسي الخلدونية محمد العود، وحسن الزغيدي، والأستاذ الطاهرين الصالح الزواوي، وكذلك أمثال الشيخ محمد العربي الشريف الجزائري، والشيخ محمد الطيب التبسي ....[5]

إسهامات الجزائريين في الحياة الفكرية والأدبية التونسية كثيرة، فمنذ القرن 19م، كان لأدباء وشعراء الجزائر دورا بارزا في مسار النهضة الثقافية في تونس، وقد أنجبت الجزائر كوكبة من العلماء والأدباء والشعراء، ومن هؤلاء نذكر "المكي بن عزوز"، كان له ديوان

1- بلقاسم الغالي: **من أعلام الزيتونة**، شيخ **الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره**، دار بن حزم، بيروت، 1997، ص28.

2- أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 8، ص491.

3- رشيد الدوادي: **أعلام بنزرت**، دار الغربي العربي تونس، 1971، ص55.

4-خير الدين شترة : **إسهامات النخبة الجزائرية**، المرجع السابق، ص233.

5-محمد الفاضل بن عاشور: "**الشيخ صالح الشريف**"، المجلة الزيتونية، المجلد 8، أفريل 1952، ج2، ص175.

قيل إنه بلغ ثلاثة ألاف بيت، وله إسهامات شعرية أخرى أثرت على الساحة الأدبية التونسية[1].

وأيضا "الخضر الحسين" الذي يبرز في الحياة الثقافية من مؤلفاته: آداب الحرب في الإسلام، وسائل الاصلاح، دراسات في اللغة العربية وتاريخها، بالإضافة إلى جملة من المقالات والبحوث منها المجاز والنقل وآثارهما في حياة اللغة العربية، الشعر البديع في نظر العلماء.[2]

وفي رحاب جامع الزيتونة، برز ابن باديس في فترة اقامته (1908 – 1912) كما قلنا سابقا، والذي كتب مقالات عديدة خاصة المتعلقة بالرد على شيخه بن عاشور، ويناقش أفكاره بشيء من الحدة والجرأة، وسبب هذا الخلاف في الأساس طبيعة التفكير من شخصية كل منهما، واختلاف في الأوضاع السياسية والاجتماعية بين الجزائر وتونس، وفي نفس الاتجاه كتب محمد البشير الابراهيمي مقالات عدة تعرض فيها إلى عيوب الجهاز التعليمي القائم، ودعا إلى إصلاحه.[3]

ومن الأدباء الجزائريين كذلك الشيخ "إدريس بن محفوظ الدلسي" (مفتي بنزرت) له شعر ديني في مقاصد مختلفة، كما اشتغل مصححا بالمطبعة الرسمية بتونس، ولقد أحب الشيخ إدريس تونس، وله قصيدة تغنى فيها بجمال تونس، وحكى عن المظالم المسلطة على أهلها، والذي كان يؤلمه القهر المسلط على التونسيين، يقول في مطلعها:

خطب دهاها تونس الخضراء حلت الديار فيها لها إرجاء.

أسفاً عليها حين أظلم أفقها من بعد ما سعدت بها سعداء.[4]

وغيرهم الكثير من المساهمين الجزائريين في الحركة الأدبية والشعرية التونسية، أمثال: مفدي زكريا، الهادي المدني، محمد المكي بن حسين وغيرهم.[5]

كما كان للطلبة الجزائريين بتونس دورا بارزا وفعالا في الحياة الثقافية التونسية، وهذا بتواجد أعداد هائلة منهم بتونس، إذ تفيد بعض الوثائق أنه كان يوجد بالجامع الأعظم في

1–أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ج8، ص221.

2– **نفسه**، ص221.

3 – خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية**، المرجع السابق، ص 236–237.

4– **نفسه**، ص238.

5– أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، المرجع السابق، ص222.

أوائل الثلاثينات عدد كبير من الجزائريين، وقد كان هذا الارتفاع محل تعاليق في مختلف المراسلات المتبادلة بين الاقامة العامة بتونس والسلطة الفرنسية بالجزائر، والتي تشير إلى بعض الأفراد غير المرغوب فيهم والواجب ترحيلهم إلى الجزائر[1]. سنحاول في إطار هذا المطلب التحدث عن الحركة الجمعوية الطلابية من خلال مساهمات الطلبة الجزائريين بتونس من داخل مختلف التنظيمات والهياكل الثقافية التي شهدتها تونس والتي أسسوها بشكل منفرد أو مع الطلبة التونسيين. وكانت من أولى نشاطات الطلبة الجزائريين مشاركتهم في أول إضراب عرفته تونس 1912[2]، فمن الجمعيات والهيئات والروابط المهتمة بالأدب والتعليم والثقافة التي برزوا بتأسيسها، نذكر منها ما يلي:

- جمعية تلاميذ الزيتونة التي تولى إعداد قانونها الأساسي الطيب بن عيسى الجزائري مع عبد الرحمن الكعاك بهدف القيام بحملة للإصلاح التعليمي بجامع الزيتونة، كما يبرز الطالب مفدي زكريا بعد الحرب العالمية الأولى مع زملائه في مجلة "الوفاق" التي تحولت إلى جمعية في الثلاثينات، وكانت لها جريدة تسمى "الحياة ". [3]
- وفي 1924 توفيق المدني قام بتأسيس المجمع العلمي التونسي كما كان للمدني دور في تأسيس الرابطة القلمية" في1924، وسوف يأتي التفصيل في أعمال المدني لاحقا.[4]

وفى حوالي سنة 1933 أسست في تونس "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" التابعة لجمعية العلماء المتعاطفة مع الحزب الحر الدستوري، وغيرها من نشاطات الطلبة الجزائريين في تونس الذي لم ينحصر في تلقي الدروس والحصول على الشهادات العلمية والعودة للوطن.[5]

---

1 – خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية**، المرجع السابق، ص203.

2 – **نفسه**، ص212.

3 – أحمد بن جابو: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2011، ص244.

4 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1، ص452.

5 – أبوالقاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ط4، ج3، المرجع السابق، ص106.

2 –الأثار السياسية:

إن هجرة الجزائريين من وطنهم إلى البلاد الاسلامية لم تنقطع على مر تاريخ الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد الثورات التي اندلعت والتي كان مصيرها الفشل وكانت دولة الاحتلال تتعقب المجاهدين بالتقتيل والتشريد وحجز أراضيه وأملاكه وأخذت الهجرة بعد قرار التجنيد الاجباري ومحاولة التجنيس شكلا جديدا.[1]

ولقد أثر الحضور الجزائري على الحياة السياسية التونسية قبل بداية القرن 20 م، فقد تولى الشيخ محمد السنوسي الجزائري الأصل الذي عاد إلى تونس سنة 1884 م حركة احتجاجية بعدما انضم إلى العروة الوثقى فأصبح ممثلا لها وكان محمد السنوسي أول من ربط الاتصال مع النخبة المثقفة المشرقية مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والكواكبي وغيرهم.[2]

وفي فيفري 1907 ظهرت جماعة " الشباب التونسي " إلى الوجود بإصدارها جريدة " التونسي " ومن أعلامها المحامي علي باش حانبه (1876–1918) ينحدر من أسرة تركية عريقة من سكان الأناضول، وقد ورث علي باشه حانبه عن جده الذي كان رئيسا لجند الترك ورث عنه نفوذه وحبه للنظام وقد كان من تلامذة المدرسة الصادقية.[3] والجامع بين ثقافة أوروبية متينة وتكوين عربي صحيح، ويعتبر هذا الأخير أصدق ممثل لجماعة " الشباب التونسي" من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية، وقد ساهم مع عبد الجليل الزاوش وعلي قلاتي في بلورة أوضح لمفهوم " الأمة التونسية " وفي الدفاع عنها وكانوا يرون في نظام الحماية حتمية تاريخية بل وعامل تقدم أشبه ما يكونون بالتيار الاندماجي بالجزائر ولكنهم كانوا يناهضون تعدياتها الواضحة ويطالبون بالإصلاحات

وبإلحاح من على باش حانبه صدرت نشرة عربية عن جريدة " التونسي " سميت " الاتحاد الإسلامي " تولى تحريرها بنفسه، وفي 10 أفريل 1910 قدم الطلاب عريضة مطالبهم إلى وزير القلم بعد أن قاموا بمظاهرة امتدت على مقربة من جامع الزيتونة إلى

1– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون:**الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920–1936**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج1، ص ص 46 – 47.

2– أحمد بن جابو: **المرجع السابق**، ص213.

3– الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، تقوتع: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص143.

القصبة فقبضت الشرطة على اثنين منهم، فتدخلت جماعة جريدة التونسي وقام على باش حانبه بتهدئة الطلاب ونجحت وساطتهم بينهم وبين الحكومة.

ومن الشخصيات البارزة الصادق الزمرلي (1885 – 1983) ولد بمدينة تونس في حي " دار الباشا " بعد انتصاب الحماية الفرنسية بحوالي ثلاثة أو أربع سنوات أي في سنة 1884 أو1885، التحق بالمعهد الصادقي بمقره القديم نهج جامع الزيتونة بعد إتمام دراسته الابتدائية، ثم غادر الصادقية قبل إنهاء دراسته الثانوية، وانخرط في جمعية قدماء المدرسة الصادقية التي أسسها سنة 1905، جمع من المثقفين التونسيين على رأسهم علي باش حانبه، كما انضّم إلى " النادي التونسي " وفي أكتوبر 1908 شارك في "مؤتمر إفريقيا الشمالية " المنعقد بباريس، ضمن وفد تونسي منهم البشير صفر، ومحمد الأصرم ومحمد بن الخوجه وعبد الجليل الزاوش.[1]

بعد رجوع الوفد من باريس وإحرازه نجاح باهر، نشطت الحركة الوطنية، وأصدرت جريدة "التونسي" الناطقة بالفرنسية وفي أكتوبر 1909 نشرة عربية واشترك الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تحريرها والأستاذ الصادق الزمرلي وأصبحت الجريدة مقر القيادة الوطنية في الميدان الصحفي.[2]

ولإبراز الدور الجزائري في تاريخ تونس السياسي وفي حركة الشباب التونسي هناك حدثين مهمين في تلك الفترة أولاهما: أحداث مقبرة الزلاج التي تعد حلقة من حلقات المقاومة الشعبية المتعددة وعمدت البلدية بتسجيلها في 7 نوفمبر 1911 بالمحكمة، والتي عبر فيها الشعب التونسي عن غضبه وعدم رضاه عن الحماية الفرنسية، ويحاول بجميع الوسائل التخلص من الاستعمار وظهرت هذه الانتفاضات في مقاومة المدن والقرى وعند البدو الرحل لجيوش الاستعمار من أول يوم رغم نداءات الباي إلى الشعب لتهدئته بالوعود.[3]

وشوه الفرنسيون الانتفاضات الشعبية بكلمة " النصارى " التي كانت تطلق على المستعمرين ووصفوا الانتفاضات بأنها تعصب ديني، ولكن المسألة ليست تعصب ديني بل

1- محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 113 – 114.

2- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 1، ص ص 214 – 215.

3- الصادق الزمرلي: **المصدر السابق**، ص ص 13 – 14.

انتفاضات سياسية من أجل التخلص من الاستعمار ولاسترجاع حريته، وللانتفاضة أسباب أخرى كالحرب الطرابلسية في 29 سبتمبر 1911، واحتلال مدينة فاس، والضرائب التي اثقلت كاهل الشعب، وافتكاك الأراضي الخصبة واعطائها للمعمرين الأجانب مع سكوت الباي واعوانه عن المظالم.

وساهمت هذه المسألة في اندلاع الحدث الثاني وهو: حادثة الترامواي في 8 فيفري 1912، فإثر حادث ترامواي تسبب فيه سائق إيطالي وتسبب في موت طفل قرر سكان تونس مقاطعة الترامواي، وطالب الأهالي بمناسبة هذه الحادثة بالحصول على أجور مساوية لما يتقاضاه الأوروبيون وتمكينهم من بلوغ كل الوظائف مثلهم.[1]

وأعلنت الحكومة بالرغم من الاحتجاجات الصادرة عن باش حانبه أن مقاطعة الترامواي يعتبر مؤامرة سياسية ضدهم وأمرت بنفي باش حانبه والثعالبي والمحاميين محمد بن حمودة نعمان وحسان قلاتي من البلاد التونسية وكان باش حانبه الوحيد الذي لم يعد إلى تونس وبقيت الحركة سرية طيلة 6 سنوات بعد أن قضى على قادتها.[2]

وسوف نتطرق للحادثتين بتفاصيل أكثر خلال الفصل الثالث.

تميز نشاط الجزائريين بتونس بالركود ما بعد 1912، وخلال الحرب العالمية الأولى خاصة بعد مسايرة بعض رجال حركة الشباب التونسي للإدارة الاستعمارية باستثناء الشيخ عبد العزيز الثعالبي وحسين الجريدي، وأحمد توفيق المدني وكان نشاطهم يتميز بالسرية وانحصر في توزيع بعض المنشورات والاجتماعات السرية.

وتمكنت سلطة الاحتلال من اعتقال العديد منهم مثل: أحمد توفيق المدني وسنه لم يتجاوز 15 سنة بتهمة تعليق منشورات على جدران الجامع الأعظم وتعليق نشرات تحث الجيش على العصيان ووجدوا مراسلات تمت بينه وبين السيدين الشيخ بن قدور الجزائري وحسين الجزيري بعد تفتيش بيته اللذين كانت لهما جريدتي " الفاروق " للأول، و" النديم " للثاني[3].

1-على المحجوبي: **جذور الحركة الوطنية التونسية**، تع: أ. عبد الحميد الشابي، ط 1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 120.

2- شارل أندري جوليان: **إفريقيا الشمالية تسير القوميات والسيادة الفرنسية**، تر: المنجى سليم، الطيب المهيدي، الصادق المقدم، الجبيب الشطي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 90.

3 - أحمد بن جابو: **المرجع السابق**، ص 220.

وإثارة للرأي الإسلامي تم إنشاء تيار الجامعة الإسلامية في أنحاء الوطن العربي على شكل جمعيات سرية، وقد كان عبد العزيز الثعالبي يترأس جمعية تونس، وهومن سعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب العربي مثل الفرع في وادي ميزاب والقرارة أنشأها الشيخ صالح بن يحي .[1]

واستطاع عبد العزيز الثعالبي الارتباط بصدقات عديدة وخاصة مع زعيم الاشتراكيين" مارسيل كاشان " الذي مكنه من عرض القضية على مجلس النواب، ولقد تمكن من الاجتماع بلجنة حقوق الانسان التي وعدت بالاهتمام بالمسألة التونسية، وبعد فشل الحزب الاشتراكي في انتخابات سنة 1919 ثارت قيادة الحزب التونسي ضده بذريعة أنه أساء بهذه الصلة لتونس.[2]

في 20 فيفري 1920 اجتمع الأعضاء النافذون للحزب التونسي كي يضعوا حدا للخلافات القائمة بينهم وتكررت الاجتماعات السرية بينهم إلى ان توصلوا إلى الاتفاق على برنامج عمل غايته الوصول إلى دستور لتونس وأطلقوا على حركتهم اسم " الحزب الحر الدستوري " أوما سمي اختصارا بالدستور، ثم تجددت الاضطرابات بينهم من أجل القضايا الوقفية في نيسان سنة 1920.[3]

وبعد خروج الثعالبي من السجن بعد أن صدر عن المحكمة قرار يمنع محاكمته في جانفي 1920 لقي تأييدا كبيرا فانقسمت الحركة الدستورية إلى قسمين: قسم اصلاحي تدريجي وقسم الرفض الذي كان بقيادة الثعالبي ويمثل أكثرية الأمة وبينهما فئة يمثلها العسافي تكتفي بالمطالبة بدستور ومجلس نيابي وحكومة مسؤولة أمامه.

بعد كل الخلافات والانقسامات غادر الثعالبي أرض تونس في 26 تموز سنة 1923 متجها إلى الشرق واستقر في فلسطين وهناك سمع أن محمد علي القابس ينظم اتحاد العمال التونسي فأيده ثم جاءته أخبار أن الحزب الاصلاحي وقيادة الدستوريين على اختلاف

---

1 - خير الدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، المرجع السابق، ص ص 100- 101.

2- عبد العزيز الثعالبي: **المصدر السابق**، ص ص16 -17.

3- **نفسه**، ص 18.

اتجاهاتها اتفقت مع المعمرين والادارة الفرنسية ضد اتحاد العمال فأصيب بأكبر خيبة أمل له.[1]

وفي سنة 1924 عاد الحزب الحر الدستوري التونسي يكرر مطالبه من جديد، بطرق سلمية وفي نفس السنة عاد الدكتور علي الحامي "القابسي " إلى تونس بعد إنهاء دراسته في ألمانيا وبدأ في محاولة لتنظيم العمال على أسس نقابية واستمر في محاولته لكن الاستعمار نفاه وتوفي في الحجاز بعد أن وضع البذرة الأولى للتنظيمات العمالية النقابية في تونس.[2]

المطلب الثاني: آثارها على الجزائريين.

بلدان المغرب العربي بما فيها تونس فتحت أبواب مؤسساتها الثقافية والفكرية أمام الطلبة الجزائريين لمزاولة دراستهم، ومع مطلع القرن العشرين، زادت الرحلات والبعثات العلمية الجزائرية نحو تونس، ومن أهم الرحلات والبعثات الطلابية، [3] نذكر على سبيل المثال ما يلي:

1-رحلات وبعثات الامام عبد الحميد بن باديس:

من الأوائل الذين درسوا في جامع الزيتون الإمام "عبد الحميد بن باديس"، حيث كانت رحلته العلمية إليها سنة 1908 كما ذكرنا سابقا، حيث أخذ العلم من كبار العلماء أمثال محمد النخلي القيرواني.[4] وعند عودته إلى الجزائر سنة1913، أخذ يتصل بطلبة العلم في قسنطينة، وكانت أول بعثة قام بها كانت تضم كل من (العربي التبسي، ومحمد المبارك الميلي، و السعيد الزاهري، ومحمد العيد آل خليفة، وعبد السلام القسنطيني)، ثم توالت بعثات أخرى، حتى بعد وفاة عبد الحميد بن باديس سنة 1940 .[5] إذن النخبة

1-عبد العزيز الثعالبي: **المصدر السابق**، ص ص 19 – 20.

2-الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص ص 56 – 57.

3 – سلمي خليل: المهاجرون **الجزائريون في البلاد العربية ونشاطهم تجاه الثورة الجزائرية 1962/1954**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012، ص62 .

4- خير الدين شترة: "الهجرة الجزائرية نحوجامع الزيتونة بتونس وأثرها على الحياة العلمية بالجزائر خلال (1900-1962)"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، الامارات العربية المتحدة، المجلة 5 العدد 10، ديسمبر 2019، ص5.

5- عبد الرزاق عطلاوي: **إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين (1900-1954)**، البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة انموذجا، المؤتمر الدولي التاسع الجزائري، جامعة محمد بوضياف، 20154، ص25.

الإصلاحية عامة، والامام عبد الحميد بن باديس خاصة يعتبر أهم واضعي أسس التواصل العلمي والثقافي بين تونس والجزائر.

2-الرحلات والبعثات الميزابية:

ضمت أبناء منطقة وادي ميزاب أمثال (مفدى زكريا، أبو اليقظان، سليمان رمضان، وصالح بن يحي وآخرون)، ومنها بعثة بقيادة الشيخ إبراهيم أطفيش، التي أنجبت أجيالا جديدة من الرجال المثقفين والمجاهدين، [1] كما سافرت بعثة أخرى إلى تونس برئاسة محمد الثمني سنة 1919. كما تواصلت البعثات الميزابية ما بين الحربين والتي عرفت مشاركة كبيرة في الحياة السياسية بتونس.[2]

إذن لهجرة الجزائريين نحو تونس آثار إيجابية على النخبة العلمية والفكرية بالجزائر، لأن المهاجرين الجزائريين عند عودتهم إلى الجزائر ساهموا في توعية الشعب وتثقيفه، إذ برزت الكثير من النوادي والجمعيات الثقافية في الفترة (1900 -1921)، وهي البوادر الأولى لتشكل الوعي السياسي في الجزائر [3]، وكان نشاطهم في شكل مدرسين في المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أوضمن الزوايا والكتاتيب وغيرها.[4]

فمن مطلع القرن العشرين برزت نخبة من العلماء والمرشدين أمثال العربي التبسي، والبشير الابراهيمي، والسعيد الزاهري، وأبو اليقظان، وآخرون) وهذه النخبة ساهمت في بلورة الوعي الجزائري، ومنها تم تطوير الحياة السياسية والثقافية والفكرية، فجمعية العلماء منذ تأسيسها انضم إليها عدد من المثقفين الجزائريين من جامع الزيتونة.[5]

كما عملت هذه النخبة على ترسيخ حب الاسلام والوطن، ورفض كل من يحاول المس بالمساجد والمدارس، وكذا تفعيل نشاط للصحافة التي كان لها دور كبير في حرية التعبير، إضافة إلى ظهور التنظيمات الطلابية التي أبرزت دور الطلبة في الحركة الوطنية. [6]

1- صبرينة تركي، جلالي نادية: **البعثات العلمية إلى تونس وأثرها في الأدب الجزائري الحديث**، مذكرة لننيل شهادة ماستر في التاريخ، قسم اللغة وآدابها، جامعة ولحاج البويرة، 2012/2011. ص9.

2- عبد الرزاق عطلاوي: **المرجع السابق**، ص10.

3- صابرينة التونسي: الطلبة **الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 / 1954**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة العربي بن مهيدي السنة الجامعي 2019/2018، ص31.

4- خير الدين شترة: **الهجرة الطلابية نحو جامع الزيتونة**: المرجع السابق، ص70.

5- عبد الرزاق عطلاوي: **المرجع السابق**، ص11.

6- **نفسه**، ص8.

وكان لجامع الزيتونة بتونس أثر بليغ في تأسيس الحركة الإصلاحية الجزائر، يؤكد هذه الحقيقة الشيخ محمد الصالح بن عتيق أحد رواد الإصلاح الذين تعلموا في الزيتونة بقوله:" لقد وجدت نفسي في وسط يختلف كثيرا عن الوسط الذي كنت فيه – الجزائر– رقيا وحضارة، لقد عرفت هنا بتونس المنظمات السياسية والأحزاب الوطنية والنوادي الأدبية، وسمعت من السياسيين والوطنيين والأدباء خطباء ومحاضرات وقرأت الكثير من الصحف والمجلات فكان ذلك عاملا أساسيا في اتجاهي... وأنى أعترف بها لجامع الزيتونة من أثر في انتشار اللغة العربية والثقافة الاسلامية في الجزائر ..."[1].

كما نجد الشيخ ابن باديس هو الآخر يعترف في مناسبات عديدة بجميل تونس في تكونيه حيث كتب مقالاً بعنوان "تونس العزيزة": "حقا! إن لتونس هوى روحيًا بقلبي لا يصارعه إلا هوى تلمسان، أعرف ذلك من انشراح الصدر، ونشاط في الفكر وغبطة في القلب، لا أجد مثلها في ربوعها...»[2].

نستنتج مما سبق أن الرحلات والبعثات العلمية الجزائرية نحو تونس ساهمت في التشبع وتصدير الأفكار الدينية والقومية الوطنية، التي سوف تتجسد في مبادئ ومنطلقات الحركة الوطنية الجزائرية.

1– خير الدين شترة: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، دار كوداده للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص202.

2–**نفسه**، ص201.

خاتمة الفصل الأول:

وفـى الأخيـر نسـتخلص أن الهجـرة الجزائريــة نحـو تـونس لهـا دوافـع عـدة منهـا: الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، وأخرى ثقافية ودينية، التي عرفها الشعب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي، لذلك لجأوا للهجرة هروبا من السياسة المجحفة في حقهم، فكانت الهجرة إلى تونس من أجل التفكير في خطة لتغيير الوضع المزرى في الجزائر. وفي المقابل كانت تونس تحت سلطة الحماية لعيش حياة مستقرة، فهاجروا إليها في البداية على شكل أفراد، ثم تطورت وأصبحت على شكل بعثات مثل الباديسية، والميزابية، فكان لهذه الهجرة آثار ثقافية وأخرى سياسية، خاصة على تونس، وبالمقابل كذلك آثار إيجابية على الجزائر.

الفصل الثاني أحمد توفيق المدني حياته وآثاره

المبحث الأول: المولد والنشأة

المطلب الأول: مولده

المطلب الثاني: نشــأتـه

المطلب الثالث: تعليمــه

المبحث الثاني: مؤلفاته ووفاته

المطلب الأول: مؤلفاتـــــــه

المطلب الثاني: وفــاتـــــه

الفصل الثاني أحمد توفيق المدني حياته وآثاره

تعد الشخصيات الوطنية ركائزًا أساسية في بناء الهوية الثقافية والتاريخية لأي أمة، ومن أبرز الشخصيات التي كان لها دور فعال في التاريخ الثقافي والسياسي لتونس والجزائر، يبرز اسم "أحمد توفيق المدني". ففي هذا الفصل نقدم التعريف بشخصيته، وهذا من خلال الوقوف على محطات حياته التي شكلت ملامح عطائه المتعدد، وذلك بالتطرق إلى خصائص مرحلة الشباب التي عاشها بمسقط رأسه تونس، التي كانت ملاذ الكثير من الجزائريين فرارا من السياسة الاستعمارية، قبل أن تقع هي الأخرى فريسة للاحتلال.

في بداية الفصل سنتطرق إلى مولده ونسبه ومراحل طفولته، وخصائص الوسط العائلي والاجتماعي الذي تربى ونشأ فيه، ومحاولة التعرف على مختلف المؤثرات التي ساهمت في بناء شخصيته وتوجيهها التي سارت عليه.

ثم سنعرض مرحلة تكوينه الدراسي أو التعليم الذي تميز بالمزاوجة بين التعليم التقليدي في الكتاب، وما تقدمه المدارس العصرية كالخلدونية.

كما سوف نتوقف عند أهم آثاره؛ كما هو معروف ترك "أحمد توفيق المدني" الكثير من المؤلفات القيمة التي تُعتبر أثرا في ذاكرة الأمة. وختمنا الفصل بوفاته.

المبحث الأول: المولد والنشأة

المطلب الأول: مولده

أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي، ولد في 24 جمادى الثانية 1317 هـ، الموافق لـ 01 نوفمبر 1899[1] ببيت يقع بنهج الناعورة رقم 04 وهو الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التربيونال بتونس العاصمة[2].

إن عائلة المدني عائلة جزائرية اسمها الأصلي عائلة بن عمر " Benamor" نسبة إلى أحد الاجداد والذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي "بن عمر" بحي القبة بالجزائر العاصمة، وهي من عرب الأندلسيين الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492م.[3]

---

1 – هادية صيود: **أحمد توفيق المدني الوسط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه "حياة كفاح"، مجلة عصور الجديدة**، مج8، ع 1، منوبة تونس ، شتاء-ربيع (ماي) 1439 هـ/2017، ص 144. و https://www.elmadani.org/fr/biographie/

2 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح** – ج1، المصدر السابق، ص33.

3 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص48.

أما والده فهو محمد بن محمد المدني بن عمر القبي نسبة إلى القبة، الغرناطي نسبة إلى غرناطة بإسبانيا، ولد بالجزائر بالعاصمة خلال 1852، وتلقى علومه العربية بالجامع الكبير[1]، وكان من كبار علماء الجزائر، وبعد هجرته أقبل على العلم والمعرفة في جامع الزيتونة ليتولى بعدها إمامة جامع زاوية الشيخ إبراهيم الرياحي، [2] وكان تاجرا غنيا.

فنشأ "المدني" في منزل فخم وأسرة ثرية.[3] وأما جده لوالده كان أمين الأمناء؛ أي شيخ بلدية العاصمة في العهد العثماني، ومن السادة الأشراف.[4]

أما والدته فهي "عائشة بنت عمر بويراز" ابن المجاهد الكبير "مصطفى بويراز" الذي كان قائد فريق الفرسان في معركة سطاوالي الشهيرة من عائلة "ابن غشام"، وهي إحدى كبريات العائلات التونسية، وعائلة بويراز تركية تماما من الأتراك الجدد، الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر واستقروا بها.[5]

وتعد عائلة جده الأمة "عمر بويراز "عائلة ثورية، فأبو جده "مصطفى بويراز" كما قلنا سابقا مجاهد كبير بالجزائر، وخاله "محمد بويراز" كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي.[6]

إذن هو سليل وأصيل عائلتين جزائريتين، ومن كرام المجاهدين الجزائريين، هاجرتا إلى تونس، عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي بالجزائر وشردها هذا الأخير في أعقاب ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م[7].

عاش "أحمد توفيق المدني" في أسرة مكونة من أربعة إخوة ثلاثة ذكور وهم: "الهادي" "أحسن"، و"محمد علي"، وبنت واحدة تدعى "خديجة"[8].

---

1 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 33، وانظر محمد حسن فضلاء: **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 4، دار هومة، 2000، ص96.

2 – هادية صيود: **المرجع السابق**، ص 144.

4–محمد الصالح الصديق: **شخصيات فكرية وأدبية**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2002، ص319.

4 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، **المصدر** السابق، ص 33.

5 – **نفسه**، ص34.

6 – **نفسه** ، ص 13.

7 –.https://www.elmadani.org/fr/biographie/

8 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص50.

وقد أورد "المدني" في مذكراته، خلفيات تسميته باسم "توفيق"، إذ هو في الأصل أحمد المدني، فذكر أن هذه التسمية أطلقت عليه أيام حرب طرابلس 1911م، (عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بك"، وهذا في إحدى الجلسات الخاصة أقامها السيد "مختار الكاهية"، حيث استرعى انتباه القائد" أحمد المدني" بحيويته وذكائه، رغم صغر سنه، فسأله عن اسمه، فقال له: "أحمد المدني"، قال: "أنت أحمد توفيق المدني"، ومنذ ذلك اليوم أصبح أحمد توفيق المدني فشاع الاسم، واشتهر وعُرف به الرجل، وهذه الأسماء مشهورة لدى الأتراك، أمثال عثمان، وأدهم، ومراد، توفيق[1].

المطلب الثاني: نشأته

لقد نشأ "أحمد توفيق المدني" في عائلة مثقفة، واسعة العلم والاطلاع، ذات تاريخ عريق. فقد درس أبوه "محمد بن أحمد"، كما قلنا سابقًا، على يد كبار علماء الجزائر، بالجامع الكبير بالجزائر، ثم جامع الزيتونة بتونس، كما كان يصطحبه والده معه إلى الصلاة، واعظًا إياه بمختلف الحكم والأمثال ومحدثا له بجرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر[2].

مما جعل الطفل تظهر عليه ملامح الفطنة والنبوغ مبكرا، خاصة وأنه نشأ في أسرة ثرية، فقد مارس أبوه التجارة وكان من أثرياء المدينة، ويصف "أحمد توفيق المدني" نشأته فيقول: "وهل كنت حقا صبيا؟ إنني لفي شك من ذلك مريب!لقد كانت الحياة في منزل فخم، جمع الأب، والأم، والابن، حياة ناعمة سعيدة، لا يؤرقني فيها إلا ما كنت أصغي إليه من أحاديث السمر، وليجتروا ذكر فضائع الاحتلال الفرنسي، وذكر استحواذ الفرنسيين على كل سلطة ونفوذ بالبلاد التونسية... لم أكن أُحب اللعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم، وما يقولونه من بذيء الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى، وأسأل أمي عنه، فتراوغ في الجواب، وتقول لي: "إياك أن تختلط بالزوافرية أوتتعلم من كلامهم شيئًا، إنهم أبناء الشياطين، ومأواهم النار وبئس المصير [3]."

---

1 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص50.

2 – أبوعمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، حت، ص 483.

3 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 39–40.

وكانت الأم، يقول المدني في مذكراته:"تجتهد في تعليمي سورًا من قصار المفصل، وبعض الأحاديث النبوية التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه، كانت تسمعها من أبيها، فتحفظها بأسانيدها، وما كان حديثها معي إلا عن الحرام، وهو كل حديث من القول أو العمل، والحلال وهو العمل الصالح الطيب ...[1]، إذن والدته كان لها عناية بالقرآن والحديث، حفظًا وفقهًا، وقد كانت لا تدخر جهدًا في رعاية أولادها، وتربيتهم تربية مثالية، والأخلاق الكريمة، والسلوك، الحسن.[2]

كما ساهمت عائلة جده في نشأته، وذلك حسبما وصفها بقوله: "كانت دار جدي مدرسة حقيقية، سامية الأهداف، رفيعة العماد، تحتوي على خير ما في الدين، وعلى خير ما في الدنيا... وكان جدي عمر بويراز... يعتكف على قراءة القرآن، ... وكان مولعًا بقراءة البخاري ومسلم، وقد أخرج في كتاب خاص، كل الأحاديث التي رويت عن أبي هريرة رضي الله عنه... وكنا قبل صلاة العشاء، نحيط به رجال ونساء وصبيانا، فيلقي علينا كل ليلة درسًا في الدين والأخلاق، ثم يعرج – كل يوم – على ذكر الاحتلال الفرنسي بالجزائر ومآسيه وفظائعه، ... إلى أن تسيل دموعنا، ويقول لنا كلمة لم نكن نفهمها يومئذ، وفهمناها فيما بعد: إن هذه الدموع هي خميرة المستقبل. ثم نُصلَّى العشاء جماعة، وهو يؤمنا..."[3]. وبخصوص مدرسة خاله فيقول عنها:"كانت مدرسة خالي محمد رحمه الله، هي المدرسة التي أنارت له فكره، وأيقظت إحساسه، واستفزت عاطفته، وألقت به في ميادين الحياة العامة، ويتتبع تطوراتها بكل اهتمام، ويشعر أن إنقاذ الإسلام، وإنقاذ الوطن، واجب ملقى على عاتقه هو.[4]

ويذكر "أحمد توفيق المدني" في كتابه "حياة كفاح"، أنه سابقًا لسنه وعمره، فقد كان يجمع إليه الكثير من أصدقائه يأتون إلى بيته كل يوم جمعة، ويتكلمون هناك كلام الكبار خاصة حول ما يجري في العالم، ثم يتم الافتراق، بإحراق الراية الفرنسية.[5]

---

1 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 39–40

2 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 51.

3 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص ص 45–46.

4 – **نفسه**، ص 48.

5 – جيلالي صاري: **بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850–1950**، (د، ط)، الجزائر، 2007، ص535.

هكذا كانت بدايات "أحمد توفيق المدني"، فقد ولد أكبر من سنه، من نضج مبكر، ورفض للظلم والطغيان، وحس مرهف، سيتضح أكثر، وسيتعمق أكثر مع مرور الزمن، وخاصة مع الاحتلال الفرنسي، فمنذ صغره وهو على وعي بضرورة التصدي للظلم والقهر بمختلف أشكاله، مجسدا ذلك بقوله:"فقد كنت أتصور منذ وأنا الصبي الضعيف، أني تقمصت شخصية الزعيم...، أصول وأجول بين صفوف الأعداء، أمزق شملهم...، أخلص الناس من الظلم والطغيان، وأحرر الأرض من طاغوت الاستعمار".[1]

فالملاحظ من خلال ما تقدم، أن بدايات نشأة"أحمد توفيق المدني" كانت بيئة علم ودين وأدب وجاه، وكان لها الأثر البارز في تكوين شخصيته الثقافية والسياسية مستقبلًا.

واللافت للنظر في شخصيته، كما قلنا سابقًا، أنه منذ صغره، وفي المراحل الأولى لدراسته في الكتاب، أظهر اهتمامه المبكر بالكفاح ورفض الاستعمار، حتى أنه ساهم مع أقرانه في جماعات تنادي بالثورة ضد الاحتلال الفرنسي. فما حلت سنة 1915 حتى سجل نشاطًا ملحوظًا في لجنة صغار الثوار التونسيين التي تؤمن بالكفاح المسلح وسيلة وحيدة لتحقيق استقلال تونس وبقية بلدان المغرب العربي.[2]

وقد تعرض لمحنة السجن صغيرا حين اغتنم أحداث الحرب العالمية الأولى ليكون مع رفاق خلية من الطلبة المناضلين، المؤمنين بالكفاح المسلح، كما سبقت الإشارة، فقبض عليه يوم 14 فبراير 1915، وأدخل السجن حتى شهر نوفمبر 1918 بتهمة المساس بالسيادة الوطنية، وعندما أتم أربعة سنوات في السجن، تدبر محاموه أمر الإفراج عنه، وتخفيف مدة عقوبته بدعوى أنه كان صغيرًا. ومع أنه سجن، إلا أنه بقي قوي العزيمة، ثابتًا على مبادئه، ولم ينل منه السجن في شيء، بل ازداد إصرارًا، واستغل في هذه الفترة العصيبة في تكوين نفسه وتعلم المزيد من الفرنسية عن طريق مطالعته الكتب والمجلات والروايات التي كان يحصل عليها في سجنه[3].

---

1 – هادية صيود: **المرجع السابق**، ص145.

2– أمال معوشي: "**أحمد توفيق المدني لمحة عن اسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية مجلة البحوث التاريخية**"، مج03، ع 01، مارس 2019، ص196.

3– أمال معوشي: **احمد توفيق المدني لمحة عن اسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية**، المرجع السابق، ص197.و https://www.elmadani.org/fr/biographie/.

وبعد خروجه من السجن، ونتيجة نشاطاته السياسية وكتاباته الصحفية، ثم ابعاده إلى الجزائر في 06 جوان 1925م، حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني. وأين كان زواجه في 1929م بـ "زكية بنت الزبير الأمين" وهي من عائلة ذات أصول عربية أندلسية، وهنا بدأ استقراره مع أسرته الجديدة التي كان لها عظيم الأثر في نجاحه، ومشاريعه، وأثمر هذا الزواج بأربعة أبناء: ثلاث بنات وهن: "سليمة" "حسيبة"، و"فيروز"، وابنا وحيدا هو"محمد إسلام".[1]

ومما يجدر التذكير به أن "أحمد توفيق المدني" ترك أسرته قسرا نتيجة ابعاده، فكان وحيدًا بالجزائر، كان يعيش حياة اللاجئين في العام الأول والثاني لإبعاده، فتدبر أموره المادية في البداية بما يتقاضاه شهريًا من جريدة النجاح، ثم ولج عالم التجارة لتغطية حاجياته. من فتحه لدكان بقلب العاصمة، دعاه "المستودع التونسي" وفي شهر أفريل 1928، اقترح عليه السيد "عمر الموهوب"، صاحب متجر الدخان الشهير بالعاصمة، أن يتولى إدارة مكتبه الواقع بشارع "لا لبير" حيث استقربه إلى غاية التحاقه بوفد جبهة التحرير الوطني في القاهرة سنة 1956.[2]

فظروف الابتعاد والصعوبات المادية لم تكن عراقيل ومثبطات، بل كانت حافزًا ودافعًا قويًا نحو الإبداع والإنتاج الفكري والسياسي.

المطلب الثالث: تعليمه:

كانت مدرسته الأولى العائلة، فأمه "عائشة" اجتهدت في تعليمه قصار سور القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية، بالإضافة إلى النصيحة، الوعظ، والإرشاد الدائم واليومي له، لما هو صالح العمل به، والطالح الابتعاد منه وعنه، كما كان يستمع كل ليلة إلى الدروس التي يلقيها جده على جميع أفراد العائلة الكبيرة، في مجالات الدين والسيرة النبوية والتاريخ.[3]

وكانت عائلة المدني تقوم بتوجيه أبنائها إلى التعليم القرآني، كغيرها من العائلات العربية والإسلامية. فعند بلوغه سن الخامسة من عمره، أدخله والده إلى الكتاب، حيث بدأ التعليم في الكتاب، حيث يصف يوم دخوله الكتاب بـ "...ذهب بي الوالد يومًا إلى الكتاب،

1- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص 52-53.

2- **نفسه**، ص 54.

3- جيلالي صاري: **المرجع السابق**، ص535.

وقد بلغت الخامسة، فهش له المؤدب وبشَّ، وقام له تحية إجلال وتقدير، والصبيان ينظرون مندهشين، ثم هنأه وشكره على اختياره كتابه، وقال له: "إن أحمد سيكون ابتداءً من الساعة ولدي أنا"، أما أنا فقد تركز نظري على ما لست أنساه: كانت على يمين المؤدب مجموعة من العصي المختلفة طولًا وقصرًا، ورقة وغلظا..."[1]

ولما بلغ التاسعة من عمره تعلم القراءة والكتابة والقرآن، وكان يحفظ القرآن متقنًا، بالإضافة إلى أنه أصبح من القراء الجيدين للصحف التونسية[2]. فهذا هيَّأه للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية، حيث التحق بها سنة 1909م، وقد بلغ العاشرة من عمره. التي قام بتأسيسها من فضلاء التونسيين وأسندوا إدارتها إلى عصامي أبيّ من رجال الزيتونة، حيث قال في ذلك "أحمد توفيق المدني": "لا أزال أدين له بالفضل، وأذكر له الجميل وأحفظ له أقدس صورة بين خلايا الضمير، هو الأستاذ "محمد صفر". فتلقى على شيوخ المدرسة القرآنية الأهلية مبادئ اللغة العربية، وعلوم الدين، والحساب والكيمياء والعلوم الطبيعية ومبادئ اللغة الفرنسية.[3]

ويذكر "المدني" أن هذه المدرسة كانت فسيحة ومنظمة بها ما يناهز ثلاثمائة تلميذ، وأنه كان في الصف الرابع منها، وسرعان ما استقطب أنظار زملائه لنبوغه وذكائه وشجاعته الأدبية، حيث كانوا يلتفون حوله مشكلين حلقة يسمعون ويتمتعون بأحاديثه، لقد كان يروي ما اختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه، وجده، وخاله عن وجوب العمل للنهوض من حياة الذل والهوان والتخلف التي كانت تعم في مختلف الميادين، والعمل في تقويم الأخلاق، والسعي لجمع كلمة المسلمين[4].

فهو رغم صغر سنه، كان يتصفح مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده عام 1884م، وكذا مجلتي "المؤيد" و"اللواء" لسان الحزب الوطني المصري. والتي كان خاله "محمد بويراز" يتصفحها للاستزادة في ثقافته، ومعرفة آخر الأخبار التي يشهدها العالم الإسلامي، والواقع تحت سيطرة قوى الاحتلال[5].

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص 40.

2- **نفسه**، ص41.

3- أبوعمران الشيخ وآخرون: **المرجع السابق**، ص483.

4- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص50.

5- **نفســـه**، ص56.

وفي بداية السنة الدراسية لعام 1913م أنهى دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية، وخرج ملـيء المعـارف والعلـوم مـن علـوم الـدين والنحـو والصـرف، والبلاغـة، والرياضـيات، والكيميـاء، والطبيعـة، ومبـادئ اللغـة الفرنسـية، عـلاوة علـى دراسـة القـرآن الكـريم مفسـرًا وميسـرًا.فكـان يسـمى خطيـب المدرسـة وكاتبهـا البـارز، بتوجيـه مـن أسـتاذه "الشـاذلي المورالي"[1] حيث تعلم أسلوب الخطاب، فكان يلقي على زملائه وأساتذته مواضيع حول الوطن والمسلمين، وعن واجباتهم نحو الدين والوطن[2]. أما المواضيع الإنشائية التي كان يكتبها ويحررها عن حالة الوطن، وحالة الإسلام، والواجب نحوهما، فقد كانت بأمر المدير العام "أحمد صفر" التي كانت تنسخ وتعلق عند باب كل قسم، يقول "أحمد توفيق المدني" في مذكراته: " ويقبل الطلبة على قراءتها، يهنئونه عليها".[3]

وفي نفس السنة انتقل المدني إلى الجامع الأعظم "جامع الزيتونة"، ليدرس العلوم اللغوية والدينية، الفلسفة، التاريخ، وعلم الاجتماع. كما كان لا يشارك في الامتحان، ويطلب العلم لأجل العلم، وليس من أجل المنصب، حيث يقول:" فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاص بي، لا أتقيد بصنف ولا أشارك في امتحان، كنت أطلب العلم لأجل العلم، لا من أجل المنصب. فاخترت لنفسي دروسًا على جملة الأساتذة كالشيخ النخلي في التفسير، والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، والشيخ الصادق التفسير في الفقه، والشيخ محمد ابن القاضي في النحووالصرف...، وكانت فترة الدراسة طويلة عشرة ساعات كل يوم متواصلة، تبدأ بعد أداء صلاة الصبح، وتنتهي بعد أداء صلاة العشاء. كما كان يتخلل الدروس حفظ المتون المختلفة مثل: ابن عاشر والألفي، السلم..."[4].

كما دخل المدرسة الخلدونية[5]، التي تعد تكميلية للمدرسة الزيتونية لتلقي خاصة العلوم الرياضية، والتاريخ العام.[6] وفي هذه المدرسة تقيد "المدني" بمنهاج دراسي دقيق، وخاصة

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 94.

2- محمد الصالح الصديق: **المرجع السابق**، ص319.

3- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 95.

4-**نفسه**، ص 95.

5- تعتبر الخلدونية من أهم المراكز التعليمية العربية في تونس، أطلق عليها في البداية "الجمعية الخلدونية"، نسبة للمؤرخ العلامة عبد الرحمان ابن خلدون، فقد وافقت حكومة الحماية على قانونها الأساسي عام 1896م، بفضل سياسة الانفتاح التي تبناها المقيم العام الجديد في تونس "روني ميلي" الذي عين حينها حديثا عام 1894م، واستطاعت المدرسة

التاريخ، على يد الأستاذ الجليل "حسني عبد الوهاب"، وكان يأخذ عنه التاريخ والحكمة وفصل الخطاب، وفي هذا قال المدني: "وما لبثنا أن اتصلت بيننا روابط الحب والتقدير والاحترام، وأهداني مجموعة كتبه" ويبدو تأثر المدني بأستاذه واضحًا في توجهه التاريخي لحياته العلمية[1].

وكان شغوفًا بالمطالعة، مما ساهم في تكوينه وتحصيله العلمي، خاصة في التاريخ. وكان يتقن اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية. ولم تكن الفرنسية عنده إلا لغة يستخدمها للعلم، مستفيدًا من المدرسة القرآنية التي حملت هويته الإسلامية، أعدّته اعدادا جميلا للكتابة والخطابة[2]. وصار يستعير الكتب لقاء أجر زهيد، حيث أن سوق الروايات الكبيرة كان يومئذ في رواج، واشتهر الشيخ "علي بوغدير" بدكانه المتخصص في بيع وكراء الكتب، فأصبح المدني فردا من أفراد عائلة "علي بوغدير" الثقافية، كان يأخذ المدني الروايات لمدة ثلاثة أيام مقابل دفع عشرة سنتيمات. واستطاع أن يستثمر وقت فراغه في مطالعة الروايات المعربة عن كبار المؤلفين الأوروبيين مثل "وليام شكسبير" و"ميشيل زيفاكو"، وهو ما فتح له نافذة اطلع من خلالها على تفكير العالم الغربي[3].

وكانت فرصة المدني أكثر لنهل المعارف في سنوات سجنه التي حولها إلى مدرسة التي طور من خلالها ثقافته، بمطالعته لمختلف الكتب والمجلات العلمية والأدبية والدينية.[4]

وبعد خروجه من السجن، واصل المدني الدراسة من جديد بالزيتونة، لكنه انقطع قبل الوصول إلى نهايتها، وأخذ الشهادة العلمية من الجامع المعمور، وهذا لانضمامه إلى حركة الكفاح السياسي عقب تأسيس الحزب الدستوري الحر. فانقطاع المدني عن الدراسة أدى إلى ظهور مواقف متباينة من ذلك بين مؤيد ومعارض.[5]

الصادقية أن تجذب اهتمام التونسيين وتقدم تعليما عربيا إسلاميا، وتعليما عصريا يقوم على اللغات الأجنبية كالفرنسية والإيطالية، والعلوم الفكرية الأخرى، ينظر إلى آمال معوشي: **المرجع السابق**، ص 196.

6- محمد حسن فضلاء: **المرجع السابق**، ص 97.

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 95.

2- أمال معوشي: **المرجع السابق، ص** 196.

3- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 96 وعبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص57.

4- محمد حسن فضلاء: **المرجع السابق**، ص97.

5- عبد القادر خليفي: **المرجع سابق**، ص 58.

المبحث الثاني: المؤلفات والوفاة

المطلب الأول: مؤلفاته

لقد برز " أحمد توفيق المدني "من خلال العديد من كتاباته مع بروز الاستفاقة الثقافية في الجزائر مطلع القرن 20 م، حيث برزت شخصيات جزائرية اتخذت من حركة التأليف والكتابة عن تاريخ الجزائر وإبراز جذورها وبطنيتها وثقافتها وسيلة من وسائل مقاومة السياسة الاستعمارية وكان" للمدني " الدور البارز خلال هذه الفترة في كتابة التاريخ الوطني وإرساء أسس ودعائم المدرسة التاريخية الجزائرية.[1]

لقد حرر" المدني "مؤلفات قيمة، فتحت آفاقا واسعة وشكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي المعروف أن معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر، إلا ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس ويمكننا تتبع أعماله التاريخية على النحو الآتي[2]:

كتاباته المنشورة في تونس:

1- رسالة تونس إزاء جمعية الأمم (1923م):

يقول" أحمد توفيق المدني عنه:" أنه أول ما نشرت وضعتها دفاعا عن حق تونس طارت الرسالة خلال أسبوع وتخاطفها الناس".

2- الحرية ثمن الجهاد 1923:

تاريخ كفاح إيرلاندا ويقول عنها "المدني:" انتهى توزيعها خلال يوم واحد".[3]

وهو كتيب صغير في حجمه كبير في قيمته التاريخية، طبع في تونس سنة 1923م بعدها طبعها كرسالة في مجلة الفجر، وعالج فيها "المدني "نضال إيرلندا ضد الإنجليز ويشير " علي مراد " قائلا أن:" هذا الكتاب يسعى إلى تصوير الأطروحة التالية:

1- مداني واضح: **أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925-1954، مجلة تاريخ المغرب العربي**، ع 1، مج 08، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 2، جوان 2022، ص 20.

2 - عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص104.

3- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص439.

الحرية ثمن الكفاح المسلح وكل هذا سعيا منه لإيقاظ الوعي الشعبي التونسي للثورة ضد الحماية الفرنسية.[1]

3 – معاهدة سيفر:

هي رسالة نشرها " أحمد توفيق المدني "في مجلة الفجر، وهي تعني معاهدة سيفر التي فرضت على تركيا سنة 1920م، وكانت بالنسبة له حسب قوله:"إلا حكما صارما بالإعدام على الأمة العثمانية وعلى أهل الدين الإسلامي عامة.[2]

4 – تقويم المنصور:

كان في شكل مجلة شمل خمسة أجزاء، أصدر الثلاثة الأولى بتونس بداية من عام 1922م، وأصدر الجزئين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926 –1929.

وكان تعليق جريدة "الشهاب " على هذا المؤلف بالقول:"تقويم المنصور وهو السفر السنوي الحافل، الذي يدبجه صديقنا أحمد توفيق المدني كل سنة هجرية ... يشتمل ما لذ وطاب من مختلف المواضيع العلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية وغيرها، فحث كل قارئ يهمه رقي العربية والعلم والأدب، أن يسارع إلى توجيه اشتراكه ".

اشتمل كتاب تقويم المنصور على العديد من الأبواب المتنوعة، وقد لخصتها " الشهاب" "في تقريض رائع حين كتبت: "تقويم المنصور، تأليف نفيس، علم حي وأدب غض، وتاريخ قومي، ومختارات نفيسة، وقطع فائقة في ستة عشر بابا ... وكفى بهذه الصورة المصغرة منه باعثا لرغبة الأديب فيه وموجبا لتقدير عمل هذا الكاتب البارع ...".[3]

كتاباته المنشورة في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي:

1 –تقويم المنصور: الجزء الرابع والخامس، 1926م، 1929م.

2 – قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:

1– هدلي فدوى، قوادري نعيمة: **أحمد توفيق المدني مؤرخا 1899 – 1983م**، مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019 – 2020، ص ص45 – 46.

2– **نفسه**، ص 46.

3– عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص105 –106.

صدر في عام 1927 م بتونس، ضمن 176 صفحة، تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة.[1]

3 - كتاب الجزائر:

ظهر في عام 1931م، وكان ردا على الاحتفالات السنوية الفرنسية الجارحة وتتويجا، لرد فعل الشيخ "أحمد توفيق المدني" على ذلك فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ وعنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية ولقي تقديرا حارا من الشهاب.[2]

4 – محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791:

هو كتاب من الحجم المتوسط طبعته المكتبة المصرية الجزائر سنة 1938م [3]، به 191 صفحة، ختمه المؤلف بشعر للشيخ محمد العيد.[4] قال عنه أحمد توفيق المدني أن هدفه من تأليف هذا الكتاب هو تفنيد الأطروحات الغربية التي تعمدت طمس الحقائق التاريخية على أن الدولة العثمانية كانت عبارة عن مستعمرة بالجزائر.[5]

5 – المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

صدر سنة 1946م هذا الكتاب به 256 صفحة، وقد ذكر المدني دوافع تأليفه فقال: "صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد، ولم يقيض الله لها من يفردها بدراسة قيمة ...أن مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب وفتن واضطرابات...".[6]

1- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص106-107.

2- إيناس حسني، هالة بن سعدون: **المرجع السابق**، ص 64.

3- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط 4، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985، ج 4، ص 288.

4 - أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 –1791)، سيرته حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة** الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص189 – 190.

5- **نفسه**، ص ص 7 – 20.

6- أحمد توفيق المدني: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**'، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص04- 07.

6 – كتاب جغرافية القطر الجزائري 1948:

طبع بالجزائر سنة 1948م وهو أول كتاب من نوعه بالعربية، موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين ملأه بالمشاعر السياسية الوطنية، سد هذا المؤلف فراغا كبيرا، وربط فيه بين التاريخ والجغرافيا.[1]

7- كتاب حنبعل 1950م:

تعود علاقة المدني بالمسرح إلى المرحلة التي عاشها بتونس، فكانت له تجربة مسرحية هامة على رأس فرقة السعادة فخلال استقراره بالجزائر استطاع أن يعاين ركود الحالة الثقافية خاصة فن المسرح.[2] وهوالعامل الأساسي الذي جعله يخرج رواية تحت عنوان "حنبعل"، التي عرضها " محي الدين باش تارزي " رائد المسرح العربي بالقطر الجزائري[3] بمسرح الأوبرا بالجزائر ومثلت بإذاعة الجزائر قبل طبعها، ومثلتها إذاعة لندن العربية مرارا.[4]

بعدما حازت عليه من نجاح رأى مؤلفها أن يعم بها النفع فأرجعها على شكل كتاب ونشرتها المطبعة العربية الجزائرية سنة 1950 م وكان أسلوبه الأدبي الجميل مشبع بالمحسنات البديعية والصور البيانية كقوله: " على يمينها وعلى يسارها ... تحوم حول الوطن كما يحوم النسر الكاسر حول الفريسة ".[5]

8- كتاب هذه هي الجزائر:

القاهرة 1957م وهو تعريف بتاريخ الجزائر وثورتها وهومن كتب الدعاية السياسية والإعلامية خلال فترة الثورة التحريرية[6]، يقول أحمد توفيق المدني في كتابه هذه الجزائر: " فأنا لم أكتب هذه للدعاية إنما كتبت تسجيلا للواقع وتعريف علميا بهذا القطر وبهذا الشعب"[7].

كتاباته بعد الاستقلال:

1 – كتاب حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا1492- 1792:

1- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المرجع السابق، ص ص 420 – 421.

2- هدلي فدوى، قوادري نعيمة: **المرجع السابق**، ص 60.

3- أحمد توفيق المدني: **مذكرات حياة كفاح**، ج 2، المصدر السابق، ص 544.

4- محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 288.

5 – أحمد توفيق المدني: **حنبعل**، (د. ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، 17.

6- أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المرجع السابق. ص422.

7- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص7.

صدر بالجزائر سنة 1968 م والكتاب كما هو واضح من عنوانه يروي تاريخ أحداث عسكرية وسياسية، دار معظمها على شواطئ الجزائر أو بمواقع متعمقة بالداخل، وقد اتسم سرد تلك الأحداث بشيء من الإسهاب والتفصيل، مما جعل الكتاب من أكثر المؤلفات باللغة العربية توسعا في هذا الموضوع، وأوفرها مادة [1].

2 – مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754– 1830م:

صدر سنة 1974 وهو عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب أشراف الجزائر سيدي محمود الشريف [2]. في حدود 196 صفحة.

3 – كتاب مذكرات حياة كفاح:

من أهم ما كتبه في كتاباته التاريخية بعد الاستقلال، صدرت سنة 1978، جاء في أربعة أجزاء، طبع منها ثلاثة، [3] وكتابه هذا زبدة المسيرة النضالية على مستوى الجسد والفكر بصفحاته التي تجاوزت الألف وثلاثمائة(بل هي بالضبط 1386 صفحة) الموزعة على ثلاثة أجزاء يعطي صورة حية على نضال الرجل وعناده وصمود أمة وغلبتها على مختلف الأعداء الخارجين.

شمل الجزء الأول المرحلة من 1905 – 1925 أي من بداية نشاطه السياسي والفكري بتونس حتى دخوله الجزائر، أما الجزء الثاني فيغطي مرحلة المد الوطني والنظام القومي بروحه الدينية، كما جسده الفكر الإصلاحي من 1925 – 1954، [4] وبعد إصدار هذا الجزء سيتعرض إلى حملة نقدية جارحة شنها ضده بعض تلامذة جمعية علماء المسلمين الجزائرية وفي مقدمتهم " محمد الطاهر فضلاء " الذي ألف كتاب بعنوان التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، وقد صدر له هذا الكتاب سنة 1989 أي بعد أزيد من خمس سنوات من صدور الجزء الثاني من حياة كفاح، وتحتوي على 469 صفحة تتضمن إهداء ومقدمة وثلاثة اقسام.

1– عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية**، المرجع السابق، ص116.

2– مداني واضح: **المرجع السابق** ، ص 21 .

3 – **نفسه**، ص 68.

4 – بوسته حنان، عابدي أحلام: **أحمد توفيق المدني حياته وأعماله1898– 1983م**، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2018– 2019م، ص ص 16– 17.

أما الجزء الثالث فيبدأ بتاريخ 1954 – 1962 عندما بدأت مرحلة جديدة في حياة الجزائر عندما قررت مخاطبة المحتل باللغة التي لا يصغي إلا لها، لغة السلاح، بعدما استنفذت الحركة الوطنية لغة سياسية من الاستعمار الذي ليس في سجله غير جرائم البطش والتنكيل، فعرض فيه مرحلة الثورة التحريرية [1].

4 – رد أديب على حملة أكاذيب:

كان للرد على منتقديه، جاء في 244 صفحة ورسم المؤلف على صفحة الغلاف المخطوط الشعار المعروف " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا "[2].

تكلم المدني عن دوافع تأليفه هذا الكتاب بقوله:" رأيت وجوب إصدار كتاب يعارض ويداهم تحريف وتزييف ذلك الكتاب، إنما يكون بغير لهجته إن هو رد أديب لا شتم فيه ولا سب بغير طريقته إن لا كذب فيه ولا تدليس إبليس بل حقائق ناصعة وحجج ساطعة".[3]

وحسب رأينا في الأخير فإن " أحمد توفيق المني " بريء من الانتقادات العنصرية التي تلقاها، فلقد شهد فيه أبرز القادة في تونس والجزائر" كالثعالبي " و" عبد الحميد بن باديس " و" الابراهيمي " وغيرهم [4]، فالواجب منا أن نرق للنقد البناء تجاه شخصيات وطنية معروفة بنضالها ووفاءها للوطن على الرغم من السلبيات التي اتصفت بها، لأن الإنسان بحد ذاته غير كامل وغير معصوم من الخطأ، وهو ما جاء في قول أبوالقاسم سعد الله: " ... فنحن بإجماع لا نكاد نعترف لأي بطل في تاريخنا سواء كان ملكا أو محاربا مغوارا، أو شهيدا، أوعالما، إن تحطيم الأبطال والرموز ظاهرة غريبة تميز بها الإنسان الجزائري عبر تاريخه، ويكاد يكون فريدا بين الشعوب في ذلك" [5].

وهذا كاف لإثبات أن مؤلفنا كان وفيا لبلده ولتونس كذلك يخدمه من دون كلل ولا ملل حتى بعد الاستقلال بسنوات نراه ثابتا شامخا في سبيل إذكاء الوعي الشعبي ضد الاحتلال الغاشم.

---

1 – بوسته حنان، عابدي أحلام: **أحمد توفيق المدني حياته وأعماله1898– 1983م**، المرجع السابق، ص ص 16 – 18.

2– بوسته حنان، عابدي أحلام: **المرجع السابق**، ص 17.

3 – أحمد توفيق المدني: **رد أديب على حملة أكاذيب**، (ط.خ)، وزارة المجاهدين، ص ص 24 – 344.

4– هدلي فدوي، قوادري نعيمة: **المرجع السابق**، ص 73.

5 – ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله**، ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000 م، ص 32.

5 – كتاب ابطال المقاومة الجزائرية:

الكتاب عبارة عن رسائل مخطوطة باللغة العربية، تحصل عليها " المدني " من الأرشيف التركي واستزادها المركز الوطني للبحوث التاريخية. وهويحتوي على 15 رسالة: من أحمد باي قسنطينة إلى الصدر العظم، حمدان عثمان خوجة للسيد محمد بإسطنبول، من أحمد باشا باي تونس لأحمد باي قسنطينة، من الأمير عبد القادر للسلطان عبد الحميد ... الخ. وجاء في 26 صفحة.

وقد أورد " المدني " أسباب تأليفه في مقدمة كتابه فقال: " أما الرسائل التي يشرفني ويسعدني أن أقدمها الساعة لجمهرة الباحثين فهي مكتوبة أصلا باللغة العربية، ولها ترجمة إلى اللغة التركية، وأن هذه الرسائل في مجموعها تضفي نورا جديدا على[1].

6 – كتاب محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ:

هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها " أحمد توفيق المدني " حول شخصيات فكرية لها وزن ثقيل في التاريخ أمثال عبد الحميد بن باديس، البشير الابراهيمي، مبارك الميلي[2].

وإجمالا لقد كانت الحركة التأليفية لأحمد توفيق المدني نشطة، حيث استطاع رغم مساهمته المتنوعة في الميادين الأخرى أن يدعم المكتبة العربية الجزائرية بمؤلفات كانت في أمس الحاجة إليها تلك الفترة [3]. ومن خلال هذا الكم الهائل من الإنتاج التاريخي يعتبر " أحمد توفيق المدني رائدا من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين أنجبتهم الحركة الوطنية وساهموا بشكل كبير في كتابة تاريخ الجزائر، ويقول عنه عبد المالك مرتاض : " يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري ... إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم"[4].

---

1 -- أحمد توفيق المدني: **أبطال المقاومة الجزائرية**، المصدر السابق، ص 18.

2 – أحمد توفيق المدني: **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، دار البصائر، الجزائر، 2009 ، ص ص 23-24.

3- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 119.

4- مداني واضح: **المرجع السابق**، ص 22.

المطلب الثاني: وفاته

عاش الشيخ " أحمد توفيق المدني " ثمانية عقود ونصف عاصر خلالها أهم أحداث القرن العشرين وتقلباتها على مستوى العالم وظل الرجل يتمتع بشبابه وبذاكرته القوية حيث نجده يؤلف مذكراته في سن تجاوزت السبعين، فلم يكد يشعر بشيخوخته وهذه الحيوية جعلته يردد بعد أن تعدى عتبة الثمانين من عمره أنه يعيش شبابه للمرة الرابعة.

ولذلك كان محل إعجاب وتقدير ممن عايشوه عن قرب في سنواته الأخيرة وخاصة زملاءه بالمركز الوطني للدراسات التاريخية.

والحقيقة أن المترجم له لم يسكن يستكن للراحة منذ صباه، فالرجل دأب على العمل والنشاط، وحركة التنقلات سواء خلال ثورة التحرير، أوفي مرحلة الاستقلال لما تولى مهمة التمثيل الدبلوماسي في العديد من البلدان، إلا أن مظاهر الإرهاق بدأت تظهر عليه في مطلع السبعينيات، وحسب نجله " محمد إسلام " فإن والده أخذ يتعرض لأزمات قلبية لذلك طلب منه العودة إلى الجزائر عندما كان سفيرا بالباكستان فوافق على الأمر، حيث عالج مرضه هنا بالجزائر بالتزامن مع فترة العلاج لم يتوقف عن الكتابة، والخطابة والمشاركة في المؤتمرات والندوات داخل الجزائر وخارجها .

ومع مطلع الثمانينات وبعد الحملة العنيفة التي تعرض لها تأزم للموقف إلا أن ذلك الأمر لم يقف في طريق عمله حيث كان عاملا إلى آخر دقيقة [1].

ولقد داهمه المرض حوالي شهرين قبل وفاته وفي مطلع شهر أكتوبر 1983 تضاعفت حدة الأزمات القلبية، وكانت كل العائلة إلى جانبه ليلا نهارا [2].

ويشير نجله إلى أنه كان وفي اليوم الذي سبق الوفاة بمكتبه بمركز الدراسات التاريخية حتى أنه عندما ذهب لأخذ وثائق والده التي خلفها هناك، وجد بعضا مما كتبه في ذلك اليوم أي 17 أكتوبر 1983 م [3] .

لقد توفي المدني بمدينة الجزائر يوم الثلاثاء في 12 محرم 1404 الموافق لـ: 18 أكتوبر 1983 ويقول" محمد محفوظ " في كتابه تراجم المؤلفين:"وقرأت نبأ وفاته في جريدة "

1- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 251.

2-.https://www.elmadani.org/fr/biographie/

3- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 252.

الصباح " فقلت: هذا رجل عظيم انتهى خبره، وطوي بساطه، غفر الله له وأجزل ثوابه، وأسكنه فراديس الجنان"[1]، توفي بمسكنه العائلي عن عمر يناهز 85 سنة.[2]

ولم تشيع جنازته في اليوم الذي توفي فيه وإنما تم تأخيره إلى اليوم الموالي لانتظار الوفود ومن بينهم عائلة المدني المقيمة بتونس وشخصيات وطنية تاريخية.[3]

هذا وقد خلفت وفاته أصداء على الساحة الوطنية وحتى خارجها، حيث أعلن عن وفاته عبر وسائل الإعلام الوطنية كالإذاعة والتلفزة، وبعث الرئيسان " الشاذلي بن جديد " والرئيس التونسي " الحبيب بورقيبة " برقيتي تعزية لعائلة الفقيد.

ومن جهتها أوردت الصحف الوطنية الناطقة بالعربية " الشعب "، " النصر " " الجمهورية "وصحيفة " المجاهد " الناطقة بالفرنسية في صدر صفحاتها صورة المرحوم مع خبر الوفاة.[4]

وقد كتبت جريدة " الشعب " بعنوان: " فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله " قائلة: ""انتقل إلى جوار ربه فجر أمس فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني الملقب بالمنصور عن عمر يناهز 85 سنة إثر نوبة قلبية "، وعرضت مسيرته باختصار[5].

كما أوردت في صفحتها الأولى خبر تعزية رئيس الجمهورية لعائلته، حيث كتبت أرسل الرئيس " الشاذلي بن جديد " برقية تعزية إلى أسرة الفقيد الأستاذ " أحمد توفيق المدني ".

ووصفت مراسيم تشييع الجنازة بالقول: " تم عقب صلاة ظهر أمس تشييع جثمان الشيخ " أحمد توفيق المدني " إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ... وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين في الحزب والدولة، إلى جانب أفراد أسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية.[6]

1- محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 285.

2- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المرجع السابق، ص 419.

3 - بوعزيز أميرة، عبدي إيمان:**أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925 -1954**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2016 - 2017، ص 13.

4- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق، ص** 252.

5- نفسه، ص ص 252 - 253.

6 - بوسته حنان، عابدي أحلام: **المرجع السابق**، ص62.

وفي كلمة التأبين أشير إلى مناقب الفقيد في إثراء المكتبة الجزائرية وخدمة الثقافة العربية الإسلامية، وفي الجهاد ضد الاستعمار.[1]

ويشير " بشير مديني " إلى أنه حقا عملاق كما وصفه " أبو القاسم سعد الله " عملاق بمواقفه بدوره، عملاق خاصة بإنتاجه وكتاباته التي كانت بحق المدرسة الوطنية التاريخية" ويضيف قائلا: " إنما فعلا حياة كفاح نذرها لوطنه علما وفكرا ... وحينما تقدمت به السن لم يكل ولم يمل بل استقر بمركز الدراسات التاريخية مدة تسع سنوات إلى أن وافته المنية، فما أحوجنا في زمن الرداءة هذا إلى مثل هؤلاء الرجال.[2]

وبالمناسبة ألقى شقيق المرحوم الشاعر الشهير بتونس " الهادي المدني " قصيدا رثى فيه المرحوم، وقد نقشت على قبره، ومما جاء فيه:

قف ففي القبر أحمد المدني هو" توفيق " الشريف الرضي
هو للمغرب الكبير والإسلام ذاك المناضل العربي
علم للتقى إلى الرشد نـادى إنه الرائد النقي التقي
ربنا اجعل مثواه جنة عدن أين في الخلد جده الهاشمي

وخلال شهر ديسمبر 1983 م نظم اتحاد الكتاب الجزائريين حفلا تأبينيا بمناسبة الأربعين، ومما قاله " محمد الطاهر عدواني " بهذه المناسبة :"لقد عهدناك يا شيخنا الجليل، أنت الشباب ونحن الشيوخ ... لقد علمتنا كثيرا فأنت معلم جيل بحق، يكفيك فخرا أنك علمته الإيمان، الإيمان بالله، والإيمان بالوطن".[3]

1 – جريدة الشعب: العدد 6214، الجزائر ، 20 أكتوبر 1983، ص 03.

2 – اتحاد المؤرخين الجزائريين: **المدرسة التاريخية الجزائرية**، ط 1، وسام نبراس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998 م، ص ص ص 141 – 144 – 149.

3– عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 253.

خاتمة الفصل الثاني:

وفي ختام هذا الفصل نكون قد تعرفنا على أبرز محطات حياة " أحمد توفيق المدني " بدءا من مولده ونشأته، فأول ما يلاحظ في حياته أنه نشأ وتربى في وسط عربي إسلامي مشبع بالثورة والكراهية للاستعمار، كما كان للوضع المادي الميسور لأسرته دورا في نشأته الثقافية والفكرية المميزة التي تزاوجت فيها البيئة الجزائرية التونسية لصناعة "أحمد توفيق المدني"

أما تعليمه عرف تطورا عبر مراحل عديدة، ولقد كان حافلا بالأحداث بدءا من الكتاب، وصولا إلى المدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة، حيث لقن في هذه المراحل علوم متعددة، ... التي فتحت ذهنه وأبرزت عبقريته، فتبلورت موهبتها الفكرية.

ولقد شكلت نشأته وتعليمه الأساس الذي انطلقت منه مسيرته الحافلة بالعطاء، سواء من خلال نضاله من أجل الوطن أو عبر مؤلفاته التي جسدت وعيا وطنيا عميقا ورغبة صادقة في الحفاظ على الهوية الجزائرية من خلال التوثيق الدقيق لتاريخها وثقافتها.

لقد تميزت كتاباته بالدقة، وحرصه على ربط الماضي بالحاضر، مما جعلها مرجعا أساسيا لكل من أراد فهم التاريخ الجزائري بعيدا عن الروايات الاستعمارية. ورغم وفاته فإن إرثه العلمي والفكري لا يزال حاضرا، يشهد على إخلاصه لقضايا أمته وستضل هذه الأعمال مصدر فخر وإلهام للأجيال القادمة ولبنة قوية في بناء الوعي الوطني والتاريخي.

الفصل الثالث: دور أحمد توفيق المدني في تونس

المبحث الأول: دوره الثقافي

المطلب الأول: العمل الصحفي

المطلب الثاني: التأليف

المطلب الثالث: تأسيس منتديات الفكر والعلم والثقافة

المبحث الثاني: دوره السياسي

المطلب الأول: المشاركة في أحداث الزلاج والتفاعل مع أحداث الحرب العالمية الأولى

المطلب الثاني: اسهاماته السياسية بعد الحرب العالمية الأولى

المطلب الثالث: الابعاد من تونس إلى الجزائر وردود الأفعال على ذلك

الفصل الثالث: دور أحمد توفيق المدني في تونس

يعد " أحمد توفيق المدني " من الشخصيات الجزائرية البارزة التي كان لها أثر مهم في الساحة الثقافية والسياسية في تونس حيث شهدت هذه الأخيرة خلال الفترة 1900 – 1925 حراكا فكريا متزايدا ومحاولات من النخب المتعلمة للمطالبة بالإصلاحات والدفاع عن الهوية العربية.

ولقد لعب " المدني " دورا محوريا في إثراء الحياة الثقافية عبر مساهمته الفكرية ومشاركته في تأسيس الجمعيات والصحف التي كانت منابر للدعوة إلى الإصلاح والتغيير وتحرير المجتمع من قيود الاحتلال.

كما كان له دور سياسي واضح، تمثل في انخراطه المبكر في العمل الوطني ونشاطه في صفوف الحركات المناهضة للاحتلال، من خلال مشاركته في أحداث الزلاج وانخراطه في الحزب الحر الدستوري ومشاركته في تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية، حيث سعى إلى توعية الجماهير والدفاع عن قضايا الحرية.

خلال هذا الفصل سنسلط الضوء على دوره الثقافي والسياسي في تونس خلال الفترة 1900 – 1925 من خلال عرض أولى محاولاته الصحفية والتأليفية في فترة هامة شهدت وصول مؤثرات عديدة من الشرق والغرب وإبراز احتكاكه بشخصيات أدبية وفكرية من خلال تأسيس المجمع العلمي التونسي والرابطة القلمية وإنشاء فرقة السعادة، وكذا انطلاقته السياسية بمعرفة خطه النضالي الثوري المعادي للاحتلال، حيث جعله يدخل السجن شابا في السادسة عشر من عمره حيث أصبح " المدني " رمزا يقلق الإدارة الاستعمارية، فقامت بإبعاده من تونس إلى بلده الجزائر.

المبحث الأول: دوره الثقافي

يتميز النشاط الفكري " للمدني " في مراحل حياته الأولى في الساحة التونسية بالتنوع وهذا من خلال العمل الصحفي وحركة التأليف والمشاركة في بعث منتديات العلم والفكر والثقافة.

المطلب الأول: العمل الصحفي

كانت علاقة " المدني " بالصحافة من خلال مداومته وهو في سن مبكرة كان لا يتجاوز العشر سنوات، على قراءة وتصفح مجلة " العروة الوثقى " التي أصدرها الشيخان " جمال الدين الأفغاني " و" محمد عبده " بباريس سنة 1884، و(اللواء) لسان حال الحزب الوطني المصري[1]، والتي كانت تصل إلى خاله " محمد بويراز " الذي كان له أثر كبير في توجيهه الفكري والسياسي وفي تكوينه، بالإضافة إلى الصحف التونسية التي كان يتداولها" كالرشدية" و" المرشد " و" المنير " و" التقدم " ثم " التونسي " و" الاتحاد الإسلامي ".[2]

لقد تميزت تونس في هذه المرحلة بتنوع نشاطها العلمي والفكري، حيث شهدت ميلاد المدرسة الخلدونية، وازدهار المدرسة الصادقية، وإصلاحات جامع الزيتونة المعمور.[3]

ولقد التزم " المدني " هو والمحيطون به أن يشتري كل واحد منهم صحيفة من صحف تونس أومن صحف ومجلات مصر وإستنبول ثم يتداولونها بينهم.

وارتبط " أحمد توفيق المدني " منذ سنة 1914 بجريدة (الفاروق)[2] التي كان يصدرها عمر بن قدور الجزائري[3] في الجزائر، حيث كان لها حضور في هذه الفترة في الساحة التونسية، حيث يقول:"فكنا نترقب أسبوعيا بفارغ الصبر، جريدة (الفاروق)... وكنا نطالع فوق صفحاتها، مقالات ... تتناول الموضوعات الأدبية والاجتماعية"[4]

وقد كان أول مقال صحفي في حياة المدني الصحفية التي دامت ستين سنة قد كتبه على صفحات جريدة ((الفاروق)) بتشجيع وتوجيه من " حسين الجزيري" حيث كان مقاله

1- مداني واضح: **المرجع السابق**، ص 10.

2- جريدة الفاروق: هي جريدة جزائرية صدر العدد الأول منها بعاصمة الجزائر يوم 28 فيفري 1913 تصدر كل يوم جمعة اشترك في إنشائها أبو حفص عمر بن قدور الذي كان يحرر قسم الأخبار منها وعمر راسم كان يحرر افتتاحيتها **يراجع: مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، جمع وتح: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص 58.

3عمر بن قدور: (1886 – 1932م): صحفي جزائري ومن أبرز المناضلين عرف باتجاهه الإصلاحي، وكان مهتما بقضايا الأمة العربية والاسلامية، ورئيس جريدة الفاروق يراجع: مفدي زكريا، المرجع السابق، **ص 61.**

4- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص 102.

الأول بعنوان: " الإدمان أول وزراء الموت " ونشرته الجريدة في نوفمبر 1914، وكتب بجريدة الفاروق نحو خمس مقالات، ثم تلاه المقال الثاني: " دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم " نشر في 4 ديسمبر 1914، أما المقال الثالث: " بين لجج الهواجس " كان في 18 ديسمبر 1914، والمقال الرابع: " كيف ننقذ وطننا " صدر بتاريخ 27 ديسمبر 1914[1].

إن الطريق الصحفي الذي اختاره " المدني " كان يهدف إلى نهضة الأمة، وشحن هممها للثورة على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها، وقد التحق " المدني " بركب الصحافة[2]. التونسية التي استأنفت نشاطها بعد رفع الحظر عنها في فاتح فيفري 1920، وعودة الصحف للصدور من جديد، حيث عادت كل من (المشير) و(الصواب)، وصدر عدد كبير من الصحف الجديدة مثل:(الوزير)و(النديم)و(الأمة) و(العصر الجديد) و(الاتحاد) و(الإرادة) و(إفريقيا) والمجلات مثل:(الفجر) و(البدر) و(المجلة الصادقية)، وقد نشر " المدني " في أغلبها إنتاجه المتعدد الأنماط والفنون، من شعر ومقالات أدبية وسياسية.[3]

وفي سنة 1920 أمد جريدتي ((الوزير)) و((الصواب)) بمقالات ممضاة باسم "المنصور " اتقاء لشر الإدارة وعملها التنكيلي ضد السادة الثلاثة من الأعيان الذين ضمنوا فيه لدى الكتابة العامة للحكومة ألا يشتغل بالسياسة، كما نشر " المدني " في صحيفة ((المشير)) ترجمة لمقال " هنري دي شامنير " صاحب المجلة البرلمانية بباريس، وهي فصل لاذع انتقد فيها " المدني " الإدارة الاستعمارية بتونس واقتبس قصة ذلك من كتاب ((تونس الشهيدة)) ولقد تهافت الناس على ((المشير)) يختطفونها، فلم يبق بالسوق إلا أعداد حجزتها الإدارة وأمرت بإغلاق جريدة المشير.[4]

ومن الصحف التي كتب بها " المدني " في هذه الفترة كذلك جريدة ((الأمة)) لصاحبها "الحاج علي بن مصطفى «حيث كان يحرر القسمين السياسي والخارجي بها.[5]

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق. ، ص ص 113 – 120.

2-محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900- 1962**، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983، ص 194.

3- **نفسه**، ص194.

4- محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 268.

5- خير الدين شترة:" النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-"1956، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع7، ديسمبر، 2012، ص215.

ولم يكتف " المدني " بما كان ينشره في الصحف عن كفاح إرلاندا، بل نشر رسالة مستقلة عن ذلك الكفاح تحت عنوان ((الحرية ثمرة الجهاد)) نشرت في مجلة ((الفجر)).

ولقد جاءت " للمدني " رسالة من جريدة أسبوعية تصدر بمدينة لاهور بالهند اسمها ((منصور)) وكانت هذه الجريدة تدافع عن وحدة الإسلام وعن الخلافة العثمانية، طلبوا منه في هذه الرسالة أن يسمح لها بترجمة مقالاته ونشرها في جريدة ((منصور)) بإمضائه المعروف ((المنصور)) ولقد أجاب " المدني " فكانت ((منصور)) بالهند تنشر أسبوعيا مقالات ((المنصور)) بتونس.[1]

وكان النشاط الصحفي " للمدني " مكثفا خاصة بعد انخراطه في الحزب الحر الدستوري، حيث كان يشرف على التحرير والشؤون الإدارية لمجلة ((الفجر)) التي أصدرها الحزب من أوت 1920 إلى ديسمبر 1921، وكان عضوا في لجنة التحرير التي كونها الحزب لإعداد مقالات صحفية وطنية للكتّاب الدستوريين كمحي الدين القليبي ومحمد معلي، ومنصف المنستيري ، وعثمان الكعاك ... إلخ ، ونشرت هذه المقالات في الصحف الأسبوعية التونسية حيث يقول" المدني في هذا :"وكان الكتّاب يمدونني شخصيا، وكل يوم بما تدبجه براعاتهم من روائع المقالات المتعلقة بالحالة الحاضرة وأنا أقسمها، وأرتبها حسب المواضيع وأمد بها مختلف الصحف ".[2]

عندما عطلت الحكومة جريدة ((العصر الجديد)) نشر " المدني " مقالا في افتتاحية جريدة ((المشير)) يوم 8 مارس 1924 بعنوان: " الحرية والعدالة والمساواة وإلا الموت "، وهو عبارة عن كتاب مفتوح إلى كل مناهض للحرية مشارك في خنقها.[3]

خلال سنة 1924 استمر على عمله ونشاطه وأصبح يحرر لجريدة ((الزهرة)) مقالا يوميا عن السياسة الخارجية، كانت مرآة صادقة لحركة التحرير العالمية.[4]

كان " أحمد توفيق المدني " كشخصية إعلامية بارزة لم تتحصل على امتياز إصدارها، إلا أنها قد فرضت نفسها على الساحة الصحفية، وتواجدت مقالاتها في أغلب

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1 ، المصدر السابق، ص 334

2 - **نفسه**، ص 330.

3 - **نفسه**، ص ص 335 – 336.

4- محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 272.

الصحف تدفعها جملة من الأسباب، تتعلق بالارتزاق، والدفاع عن القضايا السياسية أو الدينية أو الثقافية.[1]

كما ندد " المدني " بالحرب التي خاضتها فرنسا حينها لاستيلاء على الريف المغربي كله، ومن خلال مقاله في جريدة " افريقيا " بتاريخ 25 ماي 1925 بعنوان: " الحقيقة عن حوادث الريف ليحيا الريف حرا مستقلا " فقد فضح السياسة الفرنسية التوسعية للرأي العام وبعد مرور عشرة أيام عن صدور المقال، تلقى قرارا بالإبعاد إلى الجزائر يوم 06 جوان 1925.[2]

يمكن القول بأن المسار الصحفي " للمدني " كان يهدف إلى نهضة الشعب التونسي وتحفيزه على الثورة وتغيير الأوضاع السيئة التي كان يعيشها، مع اهتمامه بالكتابة الصحفية التي تختص بقضايا الأمة العربية الإسلامية (مصر، فلسطين، تركيا) دفاعا عنها ومساندتها وكانت مقالاته تتصف بالحماسة والنقد اللاذع للإدارة الاستعمارية.[3] حتى قال محمد الفاضل بن عاشور:" بأن " أحمد توفيق المدني " من أفضل من تخصص في المقال السياسي في تاريخ تونس المعاصر".[4]

المطلب الثاني: التأليف

لم يكتفي " أحمد توفيق المدني " بالعمل الصحفي بل اقتحم باب التأليف والنشر أيضا، وترك لنا تراثا فكريا، حيث تناول جوانب متعددة من تاريخ الجزائر والمغرب العربي، حيث يقول:"إلا أنني عزمت على اقتحام باب التأليف بعد ذلك بصفة منظمة متوالية، هادفة".

ورغم اننا أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق، إلا أننا نذكر أن ما أصدره " المدني " في مرحلته التونسية ثلاث مؤلفات هي:

1 – تونس وجمعية الأمم 1923:

هي أول ما نشره بعدما افتتح باب التأليف والنشر[5]، وهومن كتب الدعاية للقضية الوطنية التونسية[6]، وأعاد طبعها على شكل رسالة بمطبعة العرب بتونس سنة 1924م[7] مترجم إلى

1- محمد حمدان: **أعلام الاعلام في تونس**، ط1 ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، تونس ، 1991 ، ص 111.

2- أمال معوشي: **المرجع السابق**، ص ص 198 – 199.

3- سمية تينة: **المرجع السابق**، ص15.

4- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 63.

5- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 439.

6 – أبوالقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المرجع السابق، ص 419.

الفرنسية[1]، ولقد نادى " المدني " فيه بوجوب انسحاب فرنسا من تونس، حسبما ورد في نص صريح من معاهدة باردو واتفاقية المرسى، وأستنتج أن تونس دولة مستقلة، ويحق لتونس أن تنظم حالا لجمعية الأمم، ونفدت الرسالة خلال أسبوع.[2]

2 – الحرية ثمرة الجهاد1923:

هو كتيب صغير في حجمه كبير في قيمته التاريخية، طبع في تونس سنة 1923م[3] بعدها طبعها كرسالة في مجلة الفجر.[4] وقد عالج فيها " المدني " نضال إيرلندا ضد الانجليز، ويشير "علي مراد" قائلا أن:" هذا الكتاب يسعى إلى تصوير الأطروحة التالية: الحرية ثمرة الكفاح المسلح " وكل هذا لإيقاظ الوعي الشعبي التونسي للثورة ضد الحماية الفرنسية.[5]

3 – الأجزاء الثلاثة الأولى من تقديم ((المنصور)):

كتاب به أبواب شتى في العلوم والفنون والآداب والسياسة والتاريخ والجغرافيا طبع بتونس سنة 1922 ثم أتبعه بتقاويم أخرى سنة 1923 و1924و1925.[6] ويذكر المدني ظروف إصداره والإقبال الذي وجده في بلدان المغرب العربي: تونس والجزائر والمغرب ووصل صيته حتى إلى الهند حيث يقول:"فأخرجت سنة 1922 كتابي الأول " تقويم المنصور " في 320 صفحة وكان يشمل أبوابا شتى في العلوم والفنون والآداب والسياسة والتاريخ والجغرافيا، وابتكرت طريقة الإعلان وطلب الاشتراك من الجمهور نظرا لضيق ذات اليد، فما هو إلا شهر واحد حتى تهافتت على الاشتراكات من تونس والجزائر والمغرب، بما سدد قيمة الطبع والإرسال لكل مشترك ..."[7].

وقد اعتبر أبو القاسم سعد الله " مؤرخنا" المدني" أنه من دعاة التجديد في كتاباته، حيث أنه تحدث عن التعليم والصحافة والشباب والمرأة، وحثه على تكوين المدارس وإتقان

---

7 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 286.

1 – أبوالقاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 419.

2 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 286.

3 – هدلي فدوى، قوادري نعيمة: **المرجع السابق**، ص 45.

4 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 286.

5– هدلي فدوى، قوادري نعيمة: **المرجع السابق**، ص ص 45 – 46.

6 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 285.

7 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص ص 439 – 440.

الفلاحة والتجارة والتخرج في المهن، وانتقد المدارس الاستعمارية الرسمية وبعض الطرق الصوفية[1].

لقد رفع المدني قلمه للكتابة التاريخية في فترة حرجه جدا من تاريخ الأمة الجزائرية، وبحث في عدة مواضيع تاريخية، فكان ذا نزعة دينية ووطنية في معالجة الوقائع التاريخية، وزود الناشئة بالمعلومات المرتبطة بالقيم الوطنية، فدوره لا ينكره عاقل فحياته نموذج للرجل المكافح منذ الشباب المبكر كما وصفه شيخ المؤرخين، وتكاد لا تخلو أي مكتبة جزائرية أكاديمية الآن من مؤلفاته، التي استعان ويستعين بها الكثير من طلبة العلم والمعرفة في مختلف المسائل التاريخية.[2]

المطلب الثالث: تأسيس منتديات الفكر والعلم والثقافة

من إسهامات "المدني" الثقافية في تونس مشاركته في تأسيس العديد من المنتديات والهيئات المرتبطة بالنشاط الفكري والعلمي والثقافي وهي:

1 – المجمع العلمي التونسي:

من أجل النهوض بالواقع العلمي التونسي، شارك "المدني" بمقر نادي قدماء الصادقية مع مجموعة من المناضلين التونسيين في تأسيس "المجمع العلمي التونسي" وكان هدفه إعادة الأمجاد العلمية التونسية [2]حيث يقول عنه المدني:"وتأكد لدينا، خلال اجتماعاتنا بنادي قدماء الصادقية، وجوب تأسيس ((مجمع علمي تونسي)) يرفع المؤهلات العلمية ببلادنا عاليا ويعيد لتونس أمجادها العلمية السالفة".[3]

وكانت هذه اللجنة مؤلفة من: أحمد توفيق المدني، زين العابدين السنوسي، الطاهر صفر، محمد بن حسين[4]، عثمان الكعاك، [5] تولى " المدني " تحريره وتدقيق النظر فيه. ولقد قدمت هذه اللجنة القانون الأساسي لكل من الوزير الأكبر للدولة التونسية ووكيل الجمهورية العام، والمراقب المدني بتونس وكان هذا يوم 15 ماي 1924 م.

---

1 – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المرجع السابق، ص 423.

2– أمال معوشي: **المرجع السابق**، ص 206.

3 – مدني بشير: **أحمد توفيق المدني، معلم من معالم المدرسة التاريخية**، ط 1، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998، ص 125.

4– محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 274.

5 – **عثمان الكعاك: (1900 – 1976)**: من كبار أعلام تونس المعاصرين أديب لغوي، مؤرخ غزير الإنتاج، ألف ما يناهز 40 كتابا. أنظر محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 167 – 170.

وتتمثل أهداف ومقاصد هذا المجمع في:[1]

- إيجاد الألفاظ العلمية والعملية التي تحتاجها اللغة العربية وهذا للسير نحو الرقي العلمي والتطور الاجتماعي.
- البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.
- تعميم العلم والتنشيط عليه.

لم يتم مصادقة الحكومة عليه إلى يوم إبعاد " المدني " عن تونس، فركدت القضية.[2]

2 – الرابطة القلمية:

شارك "المدني" في تأسيس الرابطة القلمية إلى جانب محي الدين القليبي وعثمان الكعاك وزين العابدين السنوسي[3] وكان التأسيس في ليلة رمضان من سنة 1342 هـ (1924م)

كان المكتب يتألف كما يلي:

- أحمد توفيق المدني (كاتب عام)، محي الدين القليبي (كاتب)، عثمان الكعاك (كاتب)، زين العابدين السنوسي (أمين مال).[4]

وقد وضع المؤسسون للرابطة جملة من القواعد تضبط سيرها وتحقق أهدافها تمثلت في:

- التزام الكتّاب والمفكرين بتوجيه الأقلام إلى خدمة الحركة القومية، ورفع المستوى العلمي والاجتماعي للشعب.[5]
- الالتزام بعدم تسخير الأقلام إلى خدمة الأغراض الشخصية
- الالتزام بالدفاع عن حرية القلم والفكر، ومقاومة محاربي الحرية[6]

توالت الاجتماعات مدة أشهر قليلة[7]، إلا أن هذه الأعمال لم تكن تخفى عن السلطات الفرنسية فاتخذت ذريعة نشره لمقال في إحدى الصحف التونسية يؤازر فيها الزعيم المغربي عبد الكريم الخطابي بعد انتصاره في ثورة الريف المغربي وأصدرت

---

1 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص ص 449 – 451.

2 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص ص 449 – 452.

3 – مداني واضح :**المرجع السابق**، ص 12.

4 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص ص 452 – 453.

5 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص 66 – 67.

6 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص 452.

7 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 275.

قرار إبعاده إلى الجزائر سنة 1925[1] وبعد إصدار الأمر بإبعاده، انهار المشروع وهمد[2].

3 – العمل المسرحي (فرقة السعادة):

كان لـ" أحمد توفيق المدني " اهتمام بالجانب الفني، ولاسيما الفن الرابع، إذ كان ينشط في ميدان العمل المسرحي، حيث ترأس فرقة تمثيلية سميت فرقة السعادة، التي تأسست في العام 1924 م.[3] وأسندت له رئاستها حيث يقول "المدني":" وتفتقت العبقرية (نسبيا) عن شيء مهم: هو تكوين فرقة تمثيلية من شباب المنتمين للحزب، دعوناها فرقة "السعادة" وقد أسندت لي رئاستها" وتولى إدارتها عبد الجليل الأرناؤوط.[4]

إن بروز هذه الفرقة يعكس تبلور المسرح السياسي في الحياة التونسية، حيث كانت مواضيعها تحارب الاستبداد الاستعماري، ووجود المحتل، ومثلت العديد من المسرحيات عبر أنحاء المدن التونسية، وخصوصا العاصمة تونس، ومن أشهر عروضها " نكبة الأندلس "ورواية " طارق بن زياد" و"صلاح الدين"، [5] لكن السلطات الاستعمارية الفرنسية منعتها حيث يقول "المدني" عن رواية "طارق بن زياد":" قبل رفع الستار بنحو ساعة، ساعة فقط، جاءنا رئيس الشرطة يحمل إلينا أمرا حكوميا يقتضي منع تمثيل رواية " طارق بن زياد " وزادنا على ذلك أمرا شفويا بعدم إذاعة نبأ التحجير بين الناس"[6]، ومنعتها لما تضمنه من أفكار تمجد الحرية، وترفض العبودية والاستسلام

والحق أن إنتاجات الفرقة قد لقيت تجاوبا شعبيا ورواجا كبيرا لدى فئات واسعة في المجتمع التونسي، وكانت مداخيل حفلاتها بعد دفع المصاريف الأكيدة تدفع لإعانة مال الحزب.[7]

---

1 – مداني واضح: **المرجع السابق**، ص 12.

2 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 275.

3 – مدني بشير: **المرجع السابق**، ص 137.

4 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص 454.

5 – مدني بشير: **المرجع السابق**، ص 137.

6 – أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج 1، المصدر السابق، ص 455.

7 – عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 67.

وللتخلص من عناده في المقاومة ونشاطه في فضح الاستعمار وتسديد ضربة قاسية إلى الحزب وإلى الفرقة قامت الإدارة الاستعمارية في يوم السبت 5 جوان 1925م[1] بإبعاده من تونس إلى الجزائر[2].

والملاحظ أن "المدني" امتلك شجاعة أدبية كبيرة في التصريح بآراء تهدد وجود فرنسا، في وقت كانت الرقابة الفرنسية واقفة بالمرصاد لكل من يدلي بمواقف حول قضيتي الحرية والعدالة.[3]

المبحث الثاني: دوره السياسي

كان للمدني حضور سياسي قوي في تونس، حيث لم يتوقف نشاطه السياسي عن القضايا التونسية، بل كان ملما بقضايا المغرب العربي والعالم الاسلامي، فقد تشكل لديه منذ بداية تكوينه المعرفي ميول سياسية وطنية ذات خلفية عربية اسلامية، حيث ناضل الرجل في أجواء سياسية تميزت بعدة أحداث على المستويين التونسي والعربي الاسلامي.

المطلب الأول: المشاركة في أحداث الزلاج والتفاعل مع أحداث الحرب العالمية الأولى

تعتبر معركة الزلاج[4] أولى المشاركات السياسية لأحمد توفيق المدني في الأراضي التونسية، حيث كانت مكيدة استعمارية، أراد منها الاستعمار الفرنسي ضرب والقضاء على الحركة الوطنية ونخبتها، في صباح يوم 7 نوفمبر 1911، اندلعت في تونس العاصمة واحدة من أولى الانتفاضات الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي، عرفت بأحداث الزلاج، عندما قررت بلدية تونس، الخاضعة للسلطة الفرنسية، تسجيل أرض مقبرة الزلاج في السجل العقاري، وتحويل صيغتها من أرض أوقاف (حبس) إلى أرض بلدية لتمكين السكة

---

1 – محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ص 275.

2 – محمد الصالح الجابري: **الأدب الجزائري في تونس (1900 – 1962)**، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، 1991م، ج 1، ص23.

3 – الزبير سيف الإسلام: **المرجع السابق**، ص28.

4– **الزلاج:** مقبرة اسلامية تقع في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية، وتحتوي على "جبل التوبة" المعروف بجبل "سيدي الحسن الشاذلي" ومغارة "أبي الحسن الشاذلي" الصوفي المشهور صاحب الطريق المعروفة والمشهورة منذ ستة قرون أو أكثر، وقبور عدد كبير من العلماء، فلهذه المقبرة مكانة خاصة عند التونسيين. انظر الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة : 1830–1956**، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة، تونس، 1990، ص 45.

الحديدية من اجتيازها، وهوما أثار غضب الأهالي لأن المقبرة كانت تعتبر وقفا إسلاميا لا يجوز التصرف فيه أوبيعه.[1]

في فجر ذلك اليوم، طوقت قوات الأمن الفرنسية مداخل مقبرة الزلاج، لتمكين أحد الأعوان من أخذ قياسات المقبرة استعدادا لتسجيلها، ما اعتبره السكان محاولة للاستيلاء على الوقف، وتحويله إلى ملكية بلدية تخضع للسلطة الاستعمارية، [2] أدى هذا القرار إلى تهييج الرأي العام التونسي الرافض والمعترض على هذا القرار، فوقعت اشتباكات عنيفة ودموية بين المتظاهرين التونسيين وقوات الامن، والتي أدت إلى سقوط عدد من الضحايا، والتي تطورت إلى انتفاضة [3].

يذكر المدني أن الاستعمار أراد من وراء هذه الواقعة القضاء على الحركة الوطنية التونسية الناشئة والتخلص من النخبة التونسية التي أخذت تظهر للوجود، وتعمل على نشر الوعي، [4] وقد كانت مساهمة المدني في هذه الأحداث، من خلال توعية وتنبيه الشعب إلى خطورة هذا القرار ومحاولته إثارة الشعب، حيث يصف المدني نشاطه ومساهمته أثناء هذه الأحداث، قائلا:" كنت من بين الذين يطوفون على الأسواق والمقاهي، وأنادي بأعلى صوتي نموت ولا نسلم زلاجنا! ويتأثر الناس بكلماتي، أكثر مما يتأثرون بكلمات الذين هم أكبر مني سنا، وكان مجال عملي خلال أيام، بين أسواق تونس وبين بطحاء الحلفاوين"[5].

كان للمدني كذلك له دور كبير في نشر الوعي والتعبئة الشعبية، أثار على كل ما اعتبره سببا للجمود الفكري، وكان يجاهر بصوته أمام زملائه وأساتذته، فكانت ثورته منذ أن كان طالب علم فيسن لم يتجاوز 12 سنة، وذلك رغبة منه وطمعا في تغيير ما في أنفسهم، [6] ويصف المدني نفسه:"خلقت ثائرا، حيتما تكون الثورة أكون... وتكون الثورة حيثما

---

[1] –https://inkyfada.com/fr/2021/11/08/dessous-des-dates-7-8ovembre-1911-revoltes-jellaz-tunisie/.

[2]– الطاهر عبد الله :**المرجع السابق**، ص45.

[3]– ttps://inkyfada.com/fr/2021/11/08/dessous-des-dates-7-8ovembre-1911-revoltes jellaz-tunisie/.-

[4]– أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص70.

[5]– **نفسه**، ص 72.

[6]– هادية صيود: **المرجع السابق**، ص146.

أكون... ثائراً على مستعمر مجرم سيئ النية خبيث الطوية"، ويصف المدني الاستعمار وسياسته الخبيثة من خلال تعبير الشاعر معروف الرصافي، الذي قال:

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم

ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوام به[1]

كما كان الحرب الطرابلسية، واحتلال الايطاليين لمدينة طرابلس الغرب (الليبية) يوم 29سبتمبر 1911 وقع عميق في نفس أحمد توفيق المدني، خاصة أنه كان شابا يافعا في تلك الفترة، متأثرا بالروح الوطنية والدفاع عن الأمة الاسلامية والعربية، وقد عبر المدني في كتاباته وذكرياته عن ذلك التأثير من خلال تسمية حرب طرابلس بالكارثة العظمى، وأن احتلال طرابلس مثل صدمة كبرى له، صدمة نفسية وحزن عميق، حيث رأى منها امتدادا للهجوم الاستعماري على العالم الاسلامي، وكانت عملية احتلال طرابلس من العوامل التي دفعته إلى التمسك بالمقاومة، والدفاع عن الهوية الإسلامية والعربية، وغرس روح النضال؛[2] إذن الوعي السياسي المبكر للمدني دفعه نحو الثورية والرغبة في الانتقام، خاصة بعد تورط الايطاليين في أحداث الترمواي 1912 في تونس، حيث يعبر عن ذلك بقوله: "لا أزال أذكر ذلك اليوم الرهيب، وهو أسوأ يوم في حياتي دون ريب، وقلبي يلتهب، ودمي يفور، وأعصابي توشك أن تتحطم"[3].

قام المدني كرد فعل على ذلك، واعتقادا منه أنه يقوم بواجبه في الجهاد الاسلامي الوطني العظيم، حيث جمع حوله بعض من رفاقه المتحمسين له من المدرسة القرآنية الأهلية، وبدأوا بالطواف في مختلف الحارات والأسواق، ودعوة الناس للتبرع لصالح الهلال الأحمر العثماني لمساعدة الليبيين، فكان يجمع النقود من المتبرعين. وأخاه ورفيقه المنجى البنزرتي يسجل على ورقة أسماء المتبرعين، أما رفيقه محمد النيفر يحفظ عنده ما تجمع من مال، كما كان المدني يعرض على الجهاد، وذلك من خلال الهام الحماس الوطني لرواد المقاهي العربية قائلا لهم، بلهجة حادة ومؤنبة للضمير، أنهم أصبحوا من القواعد، بينما غيرهم يموت في سبيل الوطن بالإضافة إلى إلقائه لقصائد الحماسة التي كان يحفظها

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص21.

2- **نفسه**، ص63.

3- **نفسه**، ص 64.

لبعض الشعراء العرب، كمعروف الرصافي أمام الجمهور لإثارة حماسهم، ودفعهم إلى الدعم والتبرع[1].

ومن الأبيات التي كان يحفظها لمعروف الرصافي،

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب وقبل غرار السيف وأسل هوى الكتب

ولا تغتر إن قيل عصر تمدن فقد بان ما قالوه من أكذب الكذب

ألست تراهم بين مصر وتونس أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب

ثم يخاطب الطليان المعتدين فيقول:

ويا معشر الطليان قبحت معشرا ولا كنت يا شعب المخانيث من شعب

أتحارب هاتيك الديار وقد خلت من الجند تخلو من مراغمه غلب

وما هي إلا أرض أكرم معشر من العرب لم تنبت سوى البطل الندب

وعند إلقائه القصائد يشتد به الحماس، ويتهيج صوته، ويزداد ارتفاعا، فيتأثر الناس، ويبكون أحيانا، [2] إذن شعور المدني بالانتقام، وتبلور فكره وتوجهه، من تراكم أحداث الزلاج، إلى الترام، وإلى الحرب الطرابلسية.

ولقد كان التيار الثوري العنيف يجرف المدني إليه، ويسيطر عليه رغبة ملحة في السلوك الثوري، خاصة بعد أحداث الزلاج الدموية، والتي أدت إلى اتصالات مكثفة بين الشباب الجزائريين والتونسيين، كان الهدف منها إنشاء جمعية تضع أسس أمة شمال افريقيا، ولكن الفكرة أو المشروع أجهض من طرف السلطات الاستعمارية.[3]

وعلى إثر حادثة الترام الكهربائي في 09 فيفري 1912، والمقاطعة الجماعية، قامت الادارة الفرنسية سلسلة من الاجراءات العقابية، بعد تأكدها أن عملية المقاطعة لم تكن تلقائيا، [4] فرأت السلطات الاستعمارية أن زمام الأمور يكاد يفلت من يديها فصبت جام غضبها على زعماء الحركة الوطنية الذين اتهمتهم وحملتهم مسؤولية المقاطعة، فأصدرت

---

[1]– أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**،ج1، المصدر السابق، ص 65–66.

[2]– **نفسه**، ص ص 66–67.

[3]– عبد القادر خليلي: **المرجع السابق**، ص 69.

[4]– **نفسه**، ص 70، وأحمد بن جابو: **المرجع السابق**، ص 220.

قرارات النفي والاعتقال أمثال على باش حامية، وعبد العزيز الثعالبي...، فهذا أجبر بعض النخبة والوطنيين التونسيين على الدخول في العمل السري.[1]

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى في جويلية 1914، وإعلان حالة الحصار والأحكام العرفية في البلاد التونسية بتاريخ 12 أوت 1914، تم منع الاجتماعات وإغلاق النوادي، وتوقيف كل نشاط وطني مهما كان نوعه.[2]

وفي ليلة من ليالي ديسمبر 1914، اجتمع المدني برفيقه الصادق الرزقي في قاعة المكتبة الخلدونية، وعبر له عن قراره الثوري، وضرورة تجسيده على أرض الواقع، فشاطره الرأي الصادق الرزقي، الفكرة التي هو الآخر يتمنى تجسيدها رغم أنها محاولة جنونية يقول الصادق، وأن من يقدم عليها، فقد قدم رقبته طوعا لحبل الجلاد، لكن المدني أكد له بأن ما سوف يقدمان عليه هو واجب لخدمة الوطن، فبدأوا في التفكير في طريقة عملية لإنجاز المشروع الثوري، فاشركا فكرتهما أربعة من الشباب التونسي، وهو "أحمد نجاح"، و"محمد النيفر" و"الهادي مزاح"، و"محمد السعيد لخلصي".[3]

قرر أحمد توفيق ترك الدراسة بجامع الزيتونة، والتظاهر التفرغ لتجارة التمور، كغطاء للقرار الثوري، فبدأت اجتماعاتهم السرية من أجل التخطيط لمنهاج عملي، للقيام بانتفاضة ثورية ضد سلطة الحماية الفرنسية، مستغلين أجواء الحرب العالمية، وفتح الجبهة الليبية، وقد أسفرت اجتماعاتهم بالاتفاق على خطة ترتكز على النقاط الآتية:

-بث دعاية واسعة لدى الجيش التونسي، ولدى الشعب ضد عملية التجنيد الاجباري للشباب التونسي في الحرب دفاعا عن فرنسا التي احتلتهم وأذلتهم.

- التغلب على موجة اليأس التي طغت على الشعب بعد أحداث الزلاج، والمقاطعة، وفشل الحرب الطرابلسية، والعمل على رفع المعنويات في أوساط الشعب، وبث الأمل لديه من جديد.

- الاتصال بقبائل الجنوب التونسي" قبائل بني زيد، والتخطيط معهم للقيام بعمليات ضد الحاميات الفرنسية.

1- الطاهر عبد الله :**المرجع السابق**، ص 50.

2- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 70.

3- أحمد توفيق المدني: **المصدر السابق**، ص ص 125-126.

– استغلال خروج الحامية الفرنسية أغلبها من قفصة المتجهة للجنوب مدد للجيش الفرنسي، للقيام بهجمات على الثكنات في قفصة، وتحرير الجنود الألمان (يبلغ عددهم حوالي 50 أسير)، وإشراكهم في الثورة.

– العمل على إقناع الطلبة الزيتونيين للانضمام إلى الثورة وتوسيعها إلى الجزائر.

– عند انفجار طاقات الأمة في المغرب العربي من كل جهة على فرنسا، والتي هي من جهة أخرى منهمكة في حربها ضد الألمان في جبهة باريس، سوف يخرج من أبناء الوطن المتحمسين لعناية المعركة الحاسمة.

– إنشاء خط سري: شفرة خاصة للاتصال فيما بينهم.[1]

ثم جاءت مرحلة تنفيذ الخطة، والى تمثلت في النقاط الآتية:

–اعتماد النشيد الوطني[2] الحماسي للشاعر الكبير التونسي " الشاذلي خزنة دار"، ونسخه في مئات النسخ، وتوزيعه، على نطاق واسع الذي جاء في مطلعه:

يا بني الخضراء كونوا عظاما رافعين اليوم شأن التونسي.

– بالاتفاق مع الرفاق تكفل المدني بكتابة مقالا في جريدة الفاروق الجزائرية لتعطل الصحافة بتونس بهدف الهام الحماس الوطني، فكتب مقاله بعنوان "بين لجج الهواجس"، الذي نشر بالجريدة، بعددها الصادر يوم 18 ديسمبر 1914، والذي كان له أثر كبير في الأوساط التونسية، حيث تهافت على شراءه الكثير، حيث اضطر باعة الصحف في تونس، بعد نفاذ العدد من السوق، إلى الاتصال بـ "عمر بن قدور" صاحب الجريدة لطلب إرسال أعداد أخرى وبعث إليهم كل ما لديه، ورغم ذلك لم يكن كافيا، وكان العدد الواحد يتنقل من يد إلى أيادي عديدة، [3] وأصبح التونسي ينظر إلى المدني نظرة حب واحترام، وتقدير، وقد قال المدني في مذكراته: "لقد أحدث هذا المقال الأثر المطلوب منه، وياليتك عشت معي أيام ديسمبر 1914، لترى كيف يستطيع مقال بسيط أن يوقد في الأوساط

---

[1]– أحمد توفيق المدني:، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 127–129.

[2]– النشيد الوطني جاء به "الصادق الرزقي" كان للمرحوم الشاعر "الشاذلي خزنة دار"، أنشأه استجابة لأمر الباي "محمد الناصر"، ويقول المدني أخبره الشاعر بنفسه بذلك في لقاءه به بين صفوف الحزب الدستوري الحر فيما بعد، وقال الشاعر، لا أدري هل الباي كان جادا في طلبه أو كان عابثا، أنظر: أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ص 129.

[3]– **نفسه**، ص ص 129–130.

التونسية شعلة رجاء وأمل".[1]فكانت انعكاسات المقال حسب ما جاء فإجماع التقييم أن الشعب حاضر، وإن كان أعزل، والشعب مستجيب لمن يدعوه لميادين الحرية والخلاص.

– قيام المدني بالاتصال بأحد وجهاء الجنوب التونسي يدعى "علي فارس"، والاتفاق على لقاء في مدينة قابس، فكان الاجتماع ب"علي فارس"، تحت غطاء تجارة التمور، لمحاولة إقناعه بتحرك قبائل الجنوب، ومشاركتها في الانتفاضة، ثم تناقشا الخطة، المدني بعد عودته إلى العاصمة في أوائل جانفي 1925، أطلع بقية أفراد المجموعة على ما تم الاتفاق عليه،

غير أن الخطة تم كشفها من طرف سلطة الحماية الفرنسية في شهر فيفري 1915، فاعتقل على إثرها المدني من طرف السلطات الاستعمارية، وذلك بتهمة تعليق منشورات على جدران الجامع الأعظم، وحث الجيش على العصيان، وكان المدني سنه لم يتجاوز 15 سنة، وجدوا ببيته بعد عملية التفتيش مراسلات بينه وبين الشيخ "حسين الجزيري" والشيخ "عمر بن قدور" اللذان تواصل معهما لنشر مقالات في جريدة الفاروق.[2]

كانت هذه الملصقات على جدران جامع الزيتونة، تدعوا المسلمين إلى توحيد صفوفهم، ومناهضة الوجود الاستعماري ومساندة الخلافة الاسلامية، جعل هذا الإدارة الاستعمارية تفتح تحقيقا لتحديد من كان وراء هذه الملصقات شديدة اللهجة ضدهم، وأحد الذين يعرفونه وهو المدعو"محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي" هوالذي قدم وشاية إلى الكاتب العام الحكومة بتاريخ 20 فيفري 1915في شكل رسالة جاء فيها قوله :"يسرني أن أرسل اليكم... هذه القصيدة المناهضة لفرنسا"، أمضاها بكلمة " محب لفرنسا Francophile، وقد اعترف صاحب المراسلة أن القصيدة من وضع أحمد توفيق المدني، فتم ايقاف هذا الأخير بعد تفتيش منزله.[3]

وزج به في السجن طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى في زنزانة انفرادية إلى غاية نوفمبر 1918.[4]

---

[1]– أحمد توفيق المدني:، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 132–134.

[2]– **نفسه**، ص 220.

[3]– عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص 71–72.

[4]–https:// wwwelmadaniorg/fr/presence-de-tewfik-el-madani-par-ahmed-cheniki/.

رغم أن المدني سجن بسبب مناهضته للسياسة الاستعمار في البلاد، غير أن الجنرال المسؤول عن الأمن في البلاد التونسية، رأى تخفيف عقوبة المدني لصغر سنه، في حين المقيم العام أوضح أن المدني عنصر خطير، ينبغي إحالته على المحاكم العسكرية، فنظرا لانعدام محتشدات بتونس تم إبقائه طيلة الحرب بالسجن.[1]

لقد أحسن المدني سنوات السجن الخمسة داخل زنزانة انفرادية، استطاع أن يحول مرحلة السجن إلى مرحلة تكوينية في الدراسة والمطالعة، يفضل صبره وعزمه، ومثابرته، فاستغل هذه الفترة أحسن استغلال، فتعلم علوم كثيرة من علوم الدين وأصول اللغة العربية، واطلع على كتب الفلسفة والسياسة، وتعمق في دراسة اللغة الفرنسية.[2]من خلال الجرائد، الصحف، والكتب التي كانت تصله من طرف عائلته كل أسبوع مع الثياب خاصة بفضل الجهود الأدبية المثمرة والجهود المالية التي بذلها أبوه وشقيقه الهادي المدني، ويصف المدني لسنوات سجنه التي لم تكن خسارة في حياته اطلاقا، حيث قال: "وغادرت السجن أقوى ما أكون جسما، وأمتن ما أكون عضلا، وأطهر ما أكون عقيدة وأقوى ما أكون أملا".[3]

ومما نظمه المدني شعرا في فترة سجنه، ومن أول قصائده من الشعر المنظوم قوله:

دأب الزمان إذاية الأحرار ورعاية الأوغاد والأشرار

حتى إذا ما قام منهم سالك سبل الرشاد يبوء بالإ كدار

أو صاح منهم بالصلاح مطالب يلقى به في السجن والأقذار[4]

وكان إطلاق سراحه بعد ضمان قدمه والده للإدارة الفرنسية، ينص بتخليه عن ممارسة العمل السياسي، وعدم مغادرة تونس العاصمة، وقع هذا الضمان ثلاثة رجال من أصحاب أبيه، من كبار تونس هم السيد "الحاج بكار غريس" والسيد "الحاج محمد المؤدب"، والسيد "الطيب بن منصور".

---

[1]– عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 73.

[2]– محمد بن عمروالطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 375.

[3]– أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 200.

[4]–**نفسه**، ص 200.

المطلب الثاني: اسهاماته السياسية بعد الحرب العالمية الأولى

1-نشاطه في الحزب الحر الدستوري التونسي.

شهدت الحركة الوطنية التونسية مراحل تطورية عديدة، فكانت بدايتها الأولى في الفترة (1900 -1919) التي تميزت بالمطالبة بإشراك الأهالي في تسير شؤونهم، وهذا من خلال مجموعة نخبة تونسية نشطت في العديد من الجمعيات، وحركة الشباب التونسي، وحركة تونس الفتاة.[1]

أما عن فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، بداية من 1919 هناك عدة عوامل ساعدت على بلورت الحركة الوطنية التونسية، منها عوامل اقليمية ودولية مثل مبادئ ولسن الأربعة عشر التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، والدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى التي تنادي بحق الشعوب فينيل استقلالها...، أما العوامل الداخلية فهي كثيرة منها السياسة الاستعمارية الظالمة المطبقة بتونس، والسياسة العنصرية.[2]

كل هذه العوامل ساهمت في تطور وتنامي الحركة الوطنية، وخاصة تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي، لم تنشأ فكرة التأسيس دفعة واحدة، بل نضجت خلال الحرب العالمية الأولى، تمكن عبد العزيز الثعالبي من تمرير واقناع الكثير من قدماء حركة الشباب التونسي، وجوب وضع دستور يضمن حقوق الأهالي والعزم على تعديل نظام الحماية إلى تحرير البلاد في المرحلة اللاحقة.[3]

حضر المدني أول اجتماع سياسي له في أوائل سنة 1919، بمعية "محمد التليلي" الذي وقع بجامع الزيتونة، ومن الحاضرين في هذا اللقاء السيد "محمد بن عمار "، والوكيل لدى المحاكم التونسية، والسيد "محمد الرياحي" الموظف بالأوقاف، والشيخ حمودة المنستيري"[4]، وكان الحديث عن شروط "ولسن" وكيف يتم استغلالها من أجل تحرير تونس،

1- الكاملة فرحات: **تاريخ الحركات الوطنية المغاربية**، السامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي الجزائر، 2024، ص2 .

2- **نفسه**، ص ص 66-67.

3- الطاهر عبدالله: **المرجع السابق**، ص53.

4- **نفسه**، ص54.

وعن ضرورة إرسال وفد لباريس لتولى النضال عنها، وفي آخر الاجتماع يقرر إرسال وفد إلى باريس، وتولى تلك المهمة "عبد العزيز الثعالبي "لإسماع صوت تونس[1].

سافر الثعالبي في جويلية1919، إلى باريس مقدما مذكرة للمؤتمر والتي تضمنت مطالب التونسيين وتطبيق مبادئ "ولسن" الاربعة عشر، وقد جمعها الثعالبي في كتاب "تونس الشهيدة" التي يفضح فيه دسائس الاستعمار وجرائمه في حق الشعب التونسي، وبعد خيبة الأمل من مؤتمر الصلح وقراراته، ومبادئ الرئيس الامريكي "ولسن".[2] فأرسل الثعالبي رسالة من باريس إلى رفقاء النضال، المجموعة التي أرسلته للمؤتمر، يحثهم على ضرورة الرهان على أنفسنا وجهودنا، والياس من الآخرين والدخول في معركة ضد الاستعمار تعتمد على المطالبة بدستور يضمن حق التونسيين في تسيير شؤون بلادهم.

فكانت المبادرة بتأسيس الحزب الحر الدستوري يوم 14 مارس 1920، ليكون بوتقة النضال السياسي لكل التونسيين[3].

وفى هذا الصدد يذكر أحمد توفيق المدني أنه في شهر مارس 1920 جاءت من باريس رسالة من الشيخ الثعالبي، قرأتها بنفسي فيما بعد عند السيد الشيخ "حمودة المنستيري"[4]

وعن بداية علاقة المدني بالحزب الدستوري، يذكر في مذكراته بأنها تعود إلى منتصف شهر ماي من سنة 1920، عندما جاءه الشيخ "المنصف المنستيري" إلى حلقة دروس الشيخ محمد بن يوسف الصباحية، يدعوه لزيارة والده الشيخ "حمودة المنستيرى" في بيته لأمر مهم، فذهب إليه، وعرض عليه الشيخ فكرة الانضمام إلى الحزب، والعمل ككاتب في لجنته التنفيذية العليا، فوافق المدني ورحب بالفكرة والعمل المسند إليه، ومن اليوم الموالي، استقر المدني في غرفة صغيرة بنهج سيدي الرصاص، زنقة القطانية عدد8، وأتاه الشيخ حمودة بأوراق الحزب، وحساباته وقائمة أعضائه، فبدأ ينظم الحزب، وقائمة أعضائه ومنخرطيه وحساباته المالية[5].

1- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**،ج1، المصدر السابق، ص ص 204 – 215.

2- الطاهر عبد الله: **المرجع السابق**، ص 54.

3- احمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 239.

4- **نفسه**، ص 239.

5- **نفسه**، ص ص 242 – 243.

وبعد ثلاثة أيام من توليه منصبه ووظيفته، قام المدني بكتابة عريضتين إحداهما باللغة العربية والأخرى باللغة الفرنسية، تحتوي على تفويض من الشعب التونسي للوفد الذي يحمل العريضتين للحكومة الفرنسية بباريس، وحضر منها عشرين نسخة ترسل نسخة منها لكل جهة من جهات البلاد حتى يستطيع الشعب أن يضع إمضاء عليها، وكان المدني أول من أمضاها، وأرسلت لأغلب البلاد، وتكفل المدني شخصيا بنسخة طاف بها الأسواق، وأروقة جامع الزيتونة[1]، فسافر الوفد برآسة"أحمد الصافي" في 03 جوان 1920، حامل معه آمال الشعب التونسي.

إذن المدني وضع بصمة من بصماته لخدمة القضية التونسية، والتاريخ يشهد على ذلك، والعريضة لا تزال محفوظة في وثائق مجلس الأمة الفرنسي لعام 1920.[2]

وصفحة جديدة من صفحات العمل الثوري السياسي للمدني في 29 ماي 1921، عقد بمنزل "حمودة المنستيري" بالمرسى جلسة عمل للحزب، برئاسة عبد العزيز الثعالبي، وبحضور 50 عضوا من أعضاء الحزب، وبعد تقديم الثعالبي تقريرا تقييما حول عمل اللجنة التنفيذية الأولى، دعا الحاضرين اختيار أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة التنفيذية للحزب، وهوما تمت المصادقة عليه بالإجماع، كما انتخب كذلك كل من "أحمد الصافي" أمينا عاما للحزب، والطيب الجميل أمينا عاما مساعدا للقلم الفرنسي، و"حمودة المنستيري" أمينا للمال بالإضافة إلى عدة أعضاء منهم "عبد العزيز الثعالبي"، الذي كان الرئيس لكن اختار العضوية تواضعا.[3]

فبعد تلقي المدني منصب أمين عام مساعد للقلم العربي، كان له البصمة والأثر في عمل الحزب، وبداية العمل المنظم للحزب، من خلال محاضر جلسات الحزب الجديدة منها جلسة يوم 2 جوان 1921، وكان اللقاء حول المسألة المالية للحزب، وكيفية الاشتراك وقيمتها، وجلسة يوم 1 جويلية1921، لتقديم الشكر للأمة التونسية التي وضعت فيهم الثقة، وامدادهما للحزب حتى تسنى له أن يرسل الشيخ الثعالبي لباريس، وارسال الوفد الأول ثم الوفد الثاني. وغيرها[4].

1- احمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 244.

2- **نفسه**، ص 246.

3- **نفسه**، ص ص264 - 266.

4- **نفسه**، ص 289-271.

أوكلت مهمة التعبئة الشعبية للحزب للمدني، رفقة الأستاذ "الفاضل محمد الجعائبي" صاحب جريدة الصواب، وهذا عندما قرر الحزب ضرورة إشراك الشعب في المسؤوليات، في سبتمبر 1921، غادر المدني العاصمة مع رفيقه الفاضل مبتدئين بخط الساحل؛ سوسة، قابس... للقيام بالمهمة التي كلفا بها.[1]

تولى المدني مسؤولية الاشراف على أعمال الحزب الداخلية، فأسندت إليه مهمة التحرير في الصحف الأسبوعية للحزب، الفصول الخاصة بالسياسة الخارجية، فاشتهرت مقالاته على مستوى تونس والوطن العربي، فتكثف نشاط المدني الاعلامي والسياسي، في صلب الحركة مثل نشاطه في مجلة الفجر كمشرف على التحرير والشؤون الادارية للمجلة، وكان يوقع مقالاته باسم "المنصور".[2]

هذا النشاط الحيوي للمدني جعله يكلف بأعمال هامة، منها كان ضمن الوفد الثالث للحزب الدستوري الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924 ليفاوض باسم كل التونسيين لحل القضية الوطنية، وكان الوفد متكون من أحمد الصافي، و"الطيب الجميل"، و"صالح فرحات"، و"أحمد توفيق المدني" مكلفا بتوزيع مذكرة بعنوان "المسألة التونسية" على البرلمانيين.[3]

2-تأسيس لجنة الخلافة الاسلامية وجامعة عموم العمالة التونسية:

-تأسيس لجنة الخلافة الاسلامية:

من أهم الاسهامات السياسية للمدني عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، هو مبادرة إنشاء لجنة الخلافة الاسلامية سنة 1922، وجاء تأسيس هذه اللجنة، إثر إعلان قيام الجمهورية التركية على أنقاض السلطنة العثمانية، ومع تحول السلطنة إلى خلافة ذات طابع ديني بحت، وجد أنصار الخلافة الاسلامية في هذا التغيير مبررا لتحركهم، [4] وفي هذا الصدد يوضح أحمد توفيق المدني رأيه قائلاً : "كنت أرى الخلافة الاسلامية في استامبول هي الأداة الصالحة لجمع تلك الكلمة ...، والقضاء على كل عوامل الفرقة

1- احمد توفيق المدني :**حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق ص 315.

2- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 70.

3- أحمد القصاب: **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، تعريب حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986، ص 525.

4- التليلي العجيلي، **صدى حركة الجامعة الاسلامية في المغرب العربي، 1876-1981**، دار الجنوب، تونس الأولى، 2005، ص 417.

والشتات، وجعل المسلمين يدا واحدة، وعقيدة واحدة... من هذا المبدأ كان نضالي في سبيل الخلافة العثمانية، وخاصة بعد إلغاء الاتراك لنظام السلطنة، وإعلانهم استقلال الخلافة عن الدولة. لقد رأيت –خلافا لرأي الكثيرين– إن إنشاء الخلافة مجردة عن السلطة المدنية، تسمح للخليفة أن يباشر سلطانه الديني الروحي في كامل بلاد الإسلام...، فيكون قصر الخلافة عبارة عن فاتيكان اسلامي يجمع المسلمين..."[1].

لقد بادر المدني بتأسيس لجنة الخلافة الاسلامية مع أصحاب الرأي، الذي يرى فيهم الهمة والغيرة على الدين والوطن، وكان عددهم عشرة، منهم "محمد معلى"، و"الحبيب مزيو"، و"محي الدين القليبي"، و"عثمان الكعاك"، وغيرهم، وأعلنوا ذلك، في اجتماع عقد بمنزل المدني، وأسندت له رئاستها، وقرروا توجيه برقية للخليفة "عبد المجيد".[2]

وقد قام المدني باسم لجنة الخلافة، بالتواصل مع الخليفة "عبد المجيد"، آخر الخلفاء العثمانيين، حيث تبادل معه عدد من الرسائل والبرقيات، واقترح المدني ضرورة إنشاء مجلس خلافة مقره في أي منطقة من مناطق العالم الاسلامي الحر، يشمل 50 عالما من أكبر علماء العالم الاسلامي، مهمته دراسة مشاكل العالم الاسلامي، والسعي إلى تثمين روابط العالم الاسلامي، وإعادة قوته وحريته، بالإضافة إلى إصدار مختلف الفتاوي التي تكون مرجعا دينيا يجمع العالم الاسلامي.[3]

حاول المدني فصل لجنة الخلافة ظاهريا، عن الحزب الدستوري الحر، وتخلى فيما بعد عن منصب كاتب عام، ليتفرغ لها كليا، حيث كانت تعمل هذه اللجنة في استقلالية نسبية عن الحزب، الذي كان يمر بأزمة حادة في هذه الفترة، كانت اجتماعاتها تقام كلها بمنزل المدني بنهج الديوان، وكان هدفه من ذلك هو اغتنام فرصة حماس الجماهير من أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة منذ أحداث أفريل1922.[4]

لما تجرأ "الكماليون "بقيادة "مصطفى كمال أتاتورك" في مارس 1924، على إلغاء الخلافة وطرد الخليفة، صعق المسلمون، استنكروا التجاوز الخطير، وإن إجلال المسلمين

1– أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 443.

2– **نفسه**، ص445.

3– **نفســه**، ص 443.

4– خير الدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياحية والفكرية التونسية 1900–1939**، المرجع السابق، ص ص 106–107.

وتقديسهم لمنصب الخلافة، ورفضهم المطلق لزوال مؤسسة ارتبطت بوجودهم، وامتزجت بتاريخهم وحضارتهم، جعل التونسيين مثل الكثير من المسلمين يتمسكون ببيعة الخليفة، حتى وهو مبعد في سويسرا، حتى الأئمة استمروا في الجوامع يخطبون باسم الخليفة العثماني، حتى مطلع الثلاثينات.[1]

إذن موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة كان له أثر إيجابي لدى الرأي العام التونسي، الذي ساند لجنة المدني ورفاقه في استيائهم منذ الاعلان عن هذا الخبر، فقامت اللجنة بإرسال برقيات الاحتجاج إلى الكماليين ممثلي الدولة التركية.[2]

فأرسل المدني رسالة احتجاج على ذلك إلى ممثل تركيا بباريس "حسين راغب"، باسم الشعب التونسي، ومما جاء فيها: "إن القرار الذي أصدره المجلس بإبطال الخلافة وإبعاد الخليفة وأفراد أسرته السلطانية، قد أحدثت في المملكة التونسية تأثيرا عميقاً وأليما جدا، لذلك فلجلتنا المترجمة عن إحساس جميع الرأي العام الاسلامي التونسي تحتج أشد الاحتجاج على هذا القرار الذي يمزق الروابط...ان هذا العمل المشؤوم الصادر عن قلة تبصر من المجلس العالي التركي بعد ما نكث عهده الذي التزم به عندما نصب على عرش الخلافة... فقد أفقدكم المنزلة التي كانت لكم في قلوب المسلمين"[3].

- المشاركة في تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية:

تأسست جامعة عموم العمالة التونسية، أو كما تسمى جامعة الشغل التونسية " في 03 ديسمبر 1924 بقيادة محمد علي الحامي أثناء اجتماع عمالي، وتشكل مكتبها التنفيذي بقيادة "محمد علي" بتزكية من الحزب الدستوري وبمساعدة من قبل أعضائه مثل توفيق المدني والطاهر حداد، ويعتبر هذا التنظيم أول منظمة نقابية تونسية، جاءت هذه المبادرة استجابة للتمييز الذي كان يمارس ضد العمال التونسيين في النقابات الفرنسية، حيث كانت تلك النقابات تفضل العمال الفرنسيين وتهمل حقوق التونسيين، وقد عرفت هذه النقابة الفتية منذ ظهورها عراقيل جمة خاصة معارضة اتحاد النقابات الفرنسية، والهدف

1- التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص 417.

2- خيرالدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، المرجع السابق، ص7.

3- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 446.

الأساسي من تأسيس تلك الجامعة هو توحيد أجور العمال التونسيين والأجانب، والدفاع عن حقوقهم العامة المحرومين منها.[1]

فالمدني خلال لقاءته المتكررة مع "محمد على الحامي" والاجتماعات مع العديد من العمال التونسيين، أدرك أن كل من الاشتراكيين والشيوعيين أحاطوا بالحركة كما قال المدني في مذكراته "احاطة السوار بالمعصم"، وكل منهما له الفضل والدعم للحزب الدستوري، فاتفق المدني مع محمد علي، والدرعي أحمد والحداد، وغيرهم، على أن تكون نقابة العمال حرة مستقلة.[2]

إذن توفيق المدني انخرط في "جامعة عموم العمل التونسيين"، وكان يمثل الدستوريين مع الطاهر صقر والطاهر حداد وأحمد الدرعي في هذه النقابة.[3]

حيث قال المدني في مذكراته:"يوم إعلان قيام الجامعة العمالية في اجتماع بحي الحلفاويين طلب منه محمد علي وأصحابه أن يأتيهم يشيء من المال يتبرع به الحزب من أجل المصاريف الأولى، فعقد المدني اجتماعا طارئا وسريعا للجنة التنفيذية، فوصف وشرح لأعضاء الحزب أهداف النقابة، وطلب منهم مدّ مالي سريع لهذه النقابة العمالية، فكانت مناقشات بين مؤيد ومعارض للدعم، فكان التأييد والاقناع من الشيخ حمودة المنستيري، الذي قال: " أنا مقتنع تمام الاقتناع بالفكرة التي أبداها أخونا توفيق المدني، إن حركة العمال هي المستقبل، وبها تحيا الأمة وتنهضه ومن انفصل عن العمال فقد انفصل عن الحياة"، ثم قدم له المال الذي قدره خمسة آلاف فرنك، ثم توجه المدني للاجتماع، وقدم لمحمد علي المال، فتعالت هتافات الحاضرون للحزب الدستوري والمدني خاصة.[4]

كما كان المدني عضوا نشطا في رئاسة الجلسة التي اجتمعت في 1 نوفمبر 1924 قصد تأسيس هذه النقابة، بحضور "ليون جوهر" رئيس نقابة العمال الاشتراكيين الفرنسية، وكان المدني هو الكاتب والمترجم بين الطرفين في هذا الاجتماع، وكذلك حضر المدني جلسة يوم 22 فيفري 1924، لنفس الغرض، وكان المترجم كذلك، كما كان المدني دائم

1- علي المحجوبي: **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية، المجلد الثاني 1986، ص 124.

2- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص 446.

3- خيرالدين شترة :**اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، المرجع السابق، ص 7.

4- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 387-389.

التردد على تجمعاتهم وإلقاء الخطب عندهم مؤيدا لنضالهم، وداعيا لتوحيد جهود النقابة، وبقي المدني في تواصل ودعم للنقابة حتى بعد نفيه للجزائر.[1]

المطلب الثالث: الابعاد من تونس إلى الجزائر وردود الأفعال على ذلك

لقد اندفع الجزائريون للعمل في الحزب الحر الدستوري، ودعموه بجهودهم الفكرية والسياسية والمالية، واعتبروا قضية الحزب قضيتهم وانتصارها هو انتصارهم، وكان الجزائريون يهدفون إلى استقلال القطرين الجزائري والتونسي، «فحسب تقرير حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام الفرنسي بتونس نهاية سنة 1920، فإن الجزائريين كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري معا، وهم كلهم ثقة بأن المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعية ... بناء على مبادى الرئيس ولسن...»[2].

إن إسهام الجزائريين في نشاط الحزب الدستوري منذ تأسيسه لم يكن إسهاما عابرا، فإن ذلك أغاض وأقلق المستعمر الفرنسي، ودفعه إلى تشتيت الجزائريين، فتوالت قرارات الابعاد الصادرة بحق الجزائريين المنخرطين البارزين في عضوية الحزب الدستوري، وخاصة القياديين منهم، أو قاموا بإثارة وتأزيم الجو العام ضد المستعمر، فكان إبعاد بعضهم إلى المشرق، كالشيخ إبراهيم أطفيش سنة 1923، وإبعاد آخرين إلى الجزائر، منهم أحمد توفيق المدني، وعبد الرحمن اليعلاوي سنة 1925، بحجة أن أصولهم جزائرية، وكان انضمامهم إلى الحزب الدستوري التونسي من أجل تأسيس حركة سياسية جزائرية تونسية لتنسيق العمل والكفاح المشترك في كلا البلدين ضد فرنسا.[3]

فكان المدني أحد هؤلاء المبعدين، الذي وضعت السلطات الفرنسية العين عليه، نظرا لنشاطاته العديدة والمتنوعة في السياسة والفكر والثقافة، والعمل النقابي والصحافة، وكان يتولى النضال بقلمه حول قضايا الوطن العربي والاسلامي، فتوالت مقالات المدني ضد

1- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 389-392.

2- خيرالدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939**، المرجع السابق، ص108.

3- محمد الصالح الجابري، **المرجع السابق**، ص ص 274 - 215 .

النظام الاستعماري الفرنسي، فكان يفضح وسائلها وأهدافها المبتذلة.[1] إلى أن جاء مقال عن حرب الريف والمجاهد عبد الكريم الذي نشره في جريدة افريقيا بتاريخ 25 ماي 1925، الذي جاء فيه التنديد بالحرب التي شنتها فرنسا ضد محمد بن عبد الكريم الخطابي عندها لم تعد السلطة الفرنسية قادرة على قمع قلمه؛ فقررت إبعاده نهائيا من التراب التونسي، [2] كان ذلك بعد عشرة أيام فقط من نشر هذا المقال، كانت دعوة المدني إلى محافظة الشرطة بتونس، أين أبلغ بقرار إبعاده من تونس إلى الجزائر، ممضى من طرف الوزير المقيم العام الفرنسي يوم السبت 05 جوان 1925 على الساعة الثانية ظهرا، ثم تم تسليمه إلى قائد البوليس في مدينة عناية الجزائرية. ويصف المدني يومها ما حدث له في مكتب القائد العسكري "كاميانا" فيقول:"... وأخذ يحاسبني بإطناب عن مآخذ قانونية تشمل أعمالي في الحزب وفى الشعب، وأعمال في جامعة عموم عمال تونس...، وناولني ورقة ممضاة من المقيم العام الفرنسي فيها الأمر بإبعادي من تونس حالا ... وامتطيت سيارة الشرطة إلى أن اجتزت الحدود ؛ فإذا بي أسلم كبضاعة إلى كوميسار البوليس بعنابة "[3].

ودع المدني تونس وطنه الذي ولد وترعرع فيه فكتب رسالة متأسفا بعنوان "وداعا ولكن إلى الملتقى"، فقال:" أمتي المحبوبة وشعبي الكريم، أبناء وطني المفدى: رمت بي حكومة الاحتلال خارج حدود الوطن، بدون حق ولا قانون، رائمة بذلك إبعادي عن أمة كرست حياتي لخدمتها، وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل تحقيقها، وإخوان أحرار عاهدت الله معهم على المسعى في إسعاد الوطن، إلى أن أبلغ آخر نسمة من الحياة...حرا خلقت وحرا أحيا، وحرا أموت..."[4].

ولإسهامات المدني المتنوعة في الحياة التونسية، حظي بعزة في نفوس أبناء الشعب التونسي، حيث قوبل إبعاده من طرف الجماهير باضطرابات ومظاهرات وإضرابات تضامنا معه واستياء على ما وقع له، واعجابهم بشخصية المدني الذي يناضل من أجل حريتهم من خلال أدواره السياسية والفكرية، ومقالاته المتنوعة، كما كانت دهشت الكثير من التونسيين

1- هادية صيود: **المرجع السابق**، ص 148.

2- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص ص 456-457.

3- هادية صيود: **المرجع السابق**، ص 148.

4- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق ص 462.

أن المدني أصله جزائري، فقد بدا لهم من خلال المدافعة على القضية التونسية بكل أشكالها أنه تونسي الأصل.[1]

ومكانة المدني الفكرية والسياسية في تونس، يعبر عنها من خلال ردود فعل التونسيين على قرار إبعاده إلى الجزائر إذ أصبحت تونس يوم الاثنين جوان 1925 مقفلة احتجاجا على هذا الأمر، جاء هذا على لسان مجلة «العرب» التونسية، وذكرت حالة الهيجان التي أصابت التونسيين إثر سريان خبر هذا الحادث (إبعاد المدني قصرا)، وكذلك جريدة الوزير التي أثارت ثائرتها لهذا الخبر، فقالت: «لقد أساءت الادارة إلى الأمة أكبر إساءة بمصادرتها في أعز عزيز لديها، وأكرم رجل من أبنائها، مصادرة هي الابعاد من جهة، وإنكار الجنسية من جهة أخرى...»[2]

مكانة المدني المرموقة جعلت الصحافة التونسية بعد قرار ابعاده تعدد خصال المدني وأعماله وجهوده واسهاماته الفعالة لصالح تونس وتحررهما، ونظم الكثير من أدباء وشعراء وأعلام تونس مقالات وقصائد في ذلك تقديرا واعترافا لمجهوداته، ومن أبرزهم الشاعر التونسي "الشاذلي خزندار" الذي اعترف للمدني بفضله الكبير في القضية التونسية :

هذا الأبي التونسي هذا هو الوطني الممجد
هذا هو المنصور بل هذا هو المدني أحمد
هذي مواقفه وما زالت هنا وهناك توجد
فالله ينصر حزبه فبمثله الاسلام يسعد
ويريه في الخضرا ما مرجلها منه ويسعد[3]

ورغم الإبعاد فقد استمرت صلة الحركة الوطنية التونسية بالمدني، واستمر المدني في متابعة الأحداث في تونس وإبداء مواقفه نحوها والتعليق عليها، وظلت النخب التونسية المختلفة تتواصل معه من خلال الرسائل التي كانت تصله منهم، فعمل المدني جعل همزة

1- خير الدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياحية والفكرية التونسية 1900-1939**، المرجع السابق، ص 106.

2- خير الدين شترة: **اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياحية والفكرية التونسية 1900-1939**، المرجع السابق، ص 264.

3- **نفسه**، ص 265.

وصل لتبادل الزيارات بين المثقفين والسياسيين التونسيين والجزائريين من خلال فتحه منبر المثقفين نادي الترقي بالعاصمة الجزائر.[1]

إذن المدني بعد الابعاد، بدأ حياة جديدة في بلده الأصلي، هي الأخرى تزخر بالكثير من الأعمال والانجازات والنشاطات والاسهامات الكثيرة والمتنوعة من حياة رجل متعدد المواهب، حيث قال المدني عن مرحلته التونسية واستئناف كفاحه في مرحلته الجديدة الجزائرية:"وهكذا في ميدان التضحية والجهاد غادرت موطنا عزيزا علي، له مركز متين في الفؤاد، وحللت ببلد الآباء والأجداد، مهد البطولة والجهاد، ومرتع التضحية والاستشهاد، حيث استأنفت الكفاح بقلب جريء، ونفس حر ثائرة "[2].

1- عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 87.

2- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، المصدر السابق، ص 464.

خاتمة الفصل الثالث:

يعد أحمد توفيق المدني من أبرز الشخصيات التي ساهمت في صياغة الوعي الوطني والثقافي في تونس خلال الفترة الممتدة ما بين 1900-1925م، فقد تميز بدوره الحيوي في تعزيز الهوية الوطنية التونسية من خلال كتاباته ومشاركاته في الحياة الفكرية والسياسية، وهذا بفضل اقتحامه عالم الكتابة الصحفية والتأليف العلمي التاريخي، وهو في سن العشرين أكسبه هذا الجرأة والشجاعة الأدبية، بالإضافة إلى انخراطه في العمل الصحفي، والنشاط السياسي الوطني، مما ساعده على كسب الخبرة وسعة الثقافة بمخالطة نخبة المجتمع.

وقد جمع المدني بين العمل الصحفي والنشاط السياسي في سبيل الدفاع عن القضايا الوطنية ومناهضة الاستعمار، فحضوره في تونس كعنصر محفز للحراك الثقافي والسياسي في تلك الحقبة، فاستطاع أن يتبوأ مكانة مميزة ومرموقة ضمن الحركة الوطنية التونسية وخاصة تقلده مناصب قيادية في الحزب الدستوري الحر.

الرجل لم يكن مجرد شاهد على التحولات بل كان فاعلا أساسيا في تشكيلها، مما جعله من مرمى انظار سلطات الاستعمار الفرنسي، التي رأت في فكره المتحرر ونشاطه القومي تهديدا مباشرا لمشروعها في المنطقة، فكان قرار إبعاده من تونس إلى الجزائر في جوان 1925م، وإزاء هذا القرار ظهرت موجات التنديد والاحتجاج شعبيا وإعلاميا، وهذا يعكس مكانة المدني عند عامة التونسيين.

خاتمة:

وختاما لهذه الدراسة توصلنا إلى عدة نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

1-لقد كانت الهجرة الجزائرية إلى تونس ظاهرة متعددة الأبعاد، ارتبطت بجملة من الدوافع أهمها الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ1830م، وما انجر عنه من قمع وافقار وتجهيل ممنهج، وهذا أدى بالكثير إلى البحث عن ملاذ آمن، والذي كان في البلد المجاور تونس، وهذا بفضل الروابط التي تجمع بين الشعبين.

2 – شكلت تونس في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر فضاء بديلا للحفاظ على الهوية الوطنية والدينية بالنسبة للجزائريين، الذين ساهموا بدورهم بتونس في تطوير المناهج التعلمية والتأليف والنقاشات الفكرية، وفي تعزيز الانفتاح على قضايا الأمة.

3-كان لهذه الهجرة آثارا بالغة وفاعلة على الجزائريين، ونخص بالذكر مرحلة حاسمة في تاريخ النخبة الجزائرية المهاجرة، حيث وجدت هذه النخبة في تونس مركز للتحصيل العلمي، ومجال أكثر انفتاحا للنشاط الثقافي والسياسي مقارنة بالجزائر الخاضعة لهيمنة استعمارية أكثر قساوة.

4-نشأ المدني في بيئة مميزة جعلته رجل فكر وسياسة بامتياز، قد لعبت العائلة والأسرة دورا كبيرا في تشكيل شخصيته، فكانت أمه المدرسة الأولى في تربيته تربية متشبعة بالقيم الدينية والأخلاقية، كما كان لوالده فضلا عليه الذي تعلم واستمد منه صفات الرجولة والتضحية، وكذلك كان عمه وجده، كما تربى المدني بين عائلتين التي تعتبران من أبرز العائلات الجزائرية المهاجرة إلى تونس، التي لا تمل ولا تكل في الحديث حول النضال والفكر التحرري .

5- مراحل تعليمه الأولى والتي بدأها في سن الخامسة من عمره، تلقاها واكتسبها من القرآن الكريم بداية من الكتّاب والمدرسة الأهلية، ثم واصل دراسته بالمدرسة الخلدونية، خرج منها متشبعا بمختلف العلوم اللغوية، بعدها أكمل دراسته بجامع الزيتونة بتونس، وقد تتلمذ على يد الشيوخ الذين كانت لهم قدرة علمية وكفاءة عالية وفضل كبير في تكوينه، خاصة "حسن حسني عبد الوهاب" أستاذه في التاريخ الذي تأثر به كثيرا، فكانت توجهه نحو التأليف التاريخي، فكانت البيئة الثقافية في تونس دورا في تكوين شخصية المدني الفكرية والثقافية.

6-كان للصحافة دور في ترسيخ أفكار المدني الإصلاحية، حيث كانت الصحافة ضمن الاهتمامات الأولى له، ونظر لما كان للكلمة من أثر بليغ في استثارة الجماهير، وقد ترك

بصمات واضحة من خلال مقالاته الشيقة المناهضة للسياسة الاستعمارية، وبفضل نشاطاته المتنوعة جعلته يحتك ويربط علاقات مع رجال الثقافة التي ساعدته في دخول عالم الصحافة من بابها الواسع، أمثال "حسين الجزيري" و"الشاذلي خزنة دار"، كما كان لرجال السياسة دورا في نضاله السياسي من أمثال "عبد العزيز الثعالبي".

7-استطاع المدني أن يثري المكتبة التاريخية بمجموعة نادرة من المؤلفات التي لا يمكن الباحث الاستغناء عنها خاصة منها الكتاب الذي كتب فيه مذكراته بعنوان "حيات كفاح"، الذي يروي فيه ويؤرخ لأحداث عاشها في مسقط رأسه تونس وبعدها حياته الجديدة في الجزائر منذ1925م الى غاية وفاته، إذ أن مؤلفاته ساهمت في إثراء المشهد المعرفي.

8-بروز المدني كشخصية سياسية ووطنية وقومية ذات توجه عربي إسلامي ونزعة تحررية، استطاع أن يتبوأ مكان مرموقا ضمن التيار السياسي في تونس، باعتلائه مناصب قيادية عليا في هيكل الحزب الدستوري الحر، بداية من منصب عضو في اللجنة التنفيذية الأولى للحزب إلى أمين عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة التنفيذية، وغيرها من المهام في الحزب.

9-يظهر تتبع مسيرة المدني في تونس 1900-1925م مدى التأثير العميق الذي تركه في الساحة الثقافية والسياسية في تلك المرحلة الدقيقة في تاريخ البلاد، والتأثر الشعبي بشخصيته، ودوره القيادي، والذي كان الكثير لا يعرف عن أصوله الجزائرية إلا عند إبعاده إلى الجزائر لأنه كان يدافع بكل حب وإخلاص وتفاني عن تونس الوطن.

10-لم يكن قرار إبعاده من تونس إلى الجزائر عام1925م سوى تتويج لهذا الصراع بين مشروع ثقافي وسياسي تحرري ومخطط استعماري سعى إلى إسكات الأصوات النابضة باليقظة، غير أن هذا الإبعاد لم يكن نهاية لدوره، بل شكل نقطة تحول مفصلية حيث جاء أحمد توفيق المدني إلى الجزائر ليواصل نضاله ضمن الحركة الوطنية الجزائرية، حامل معه تجربة تونسية غنية ومهمة ساهمت في تعميق رؤيته للنضال المغاربي المشترك، ومن هنا يتضح أن إبعاده لم يكن عازلا بل امتدادا لمسيرة نضال قدر لها أن تتجاوز الحدود الجغرافية نحو مشروع تحرري شامل.

11-كانت وفاة المدني سنة1983م بمثابة خسارة وطنية وثقافية كبرى للجزائر وتونس والعالم العربي عامة، رحم الله الرجل الذي كان من قمم الفكر والأدب والتاريخ والسياسة والجهاد والنضال، فهو علامة بمعنى الكلمة، فنتمنى من الأقلام الجزائرية والتونسية خاصة

أن تعطي حق هذا الرجل في الأبحاث والدراسات لأنه همش كثيرا ولم يعرف قدره عند الكثيرين، بل حورب من طرف البعض كذلك.

وتظهر شخصية مخضرمة مثل أحمد توفيق المدني وتنوع نشاطها وإسهامها الثقافي والسياسي في البلدين خاصة في تونس وهي فترة الدراسة كعامل تواصل مهم بين الشعبين التونسي والجزائري والبلدين كذلك ودلالة راسخة على العلاقة المتينة بينهما، لذلك ينبغي الاهتمام أكثر بتوثيق تجربة أمثال هؤلاء الرجال ودراستها من طرف الباحثين في الدراسات التاريخية الأكاديمية.

الملاحق

الملحق رقم 01: شهادة ميلاد

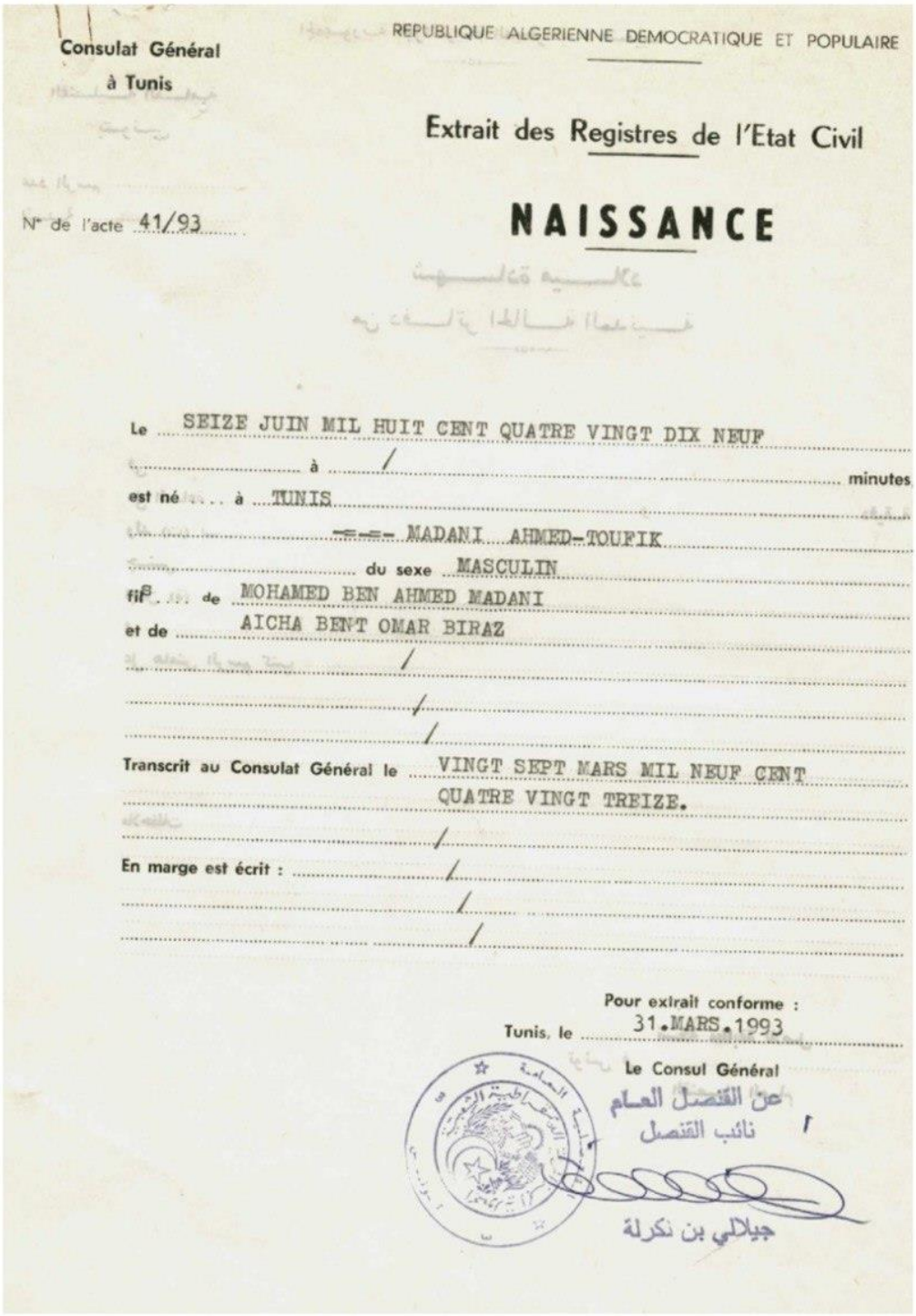

Consulat Général
à Tunis

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

Extrait des Registres de l'Etat Civil

N° de l'acte 41/93

NAISSANCE

Le SEIZE JUIN MIL HUIT CENT QUATRE VINGT DIX NEUF
à / minutes
est né à TUNIS
---- MADANI AHMED-TOUFIK
du sexe MASCULIN
fils de MOHAMED BEN AHMED MADANI
et de AICHA BENT OMAR BIRAZ
/
/
/

Transcrit au Consulat Général le VINGT SEPT MARS MIL NEUF CENT QUATRE VINGT TREIZE.
/

En marge est écrit : /
/
/

Pour extrait conforme :
Tunis, le 31.MARS.1993
Le Consul Général
عن القنصل العام
نائب القنصل
جيلالي بن نكرلة

شهادة ميلاد أحمد توفيق المدني

1-عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 261.

الملحق رقم 02: شهادة الجنسية التونسية للمدني بالعربية

تونس في 12 سبتمبر 1939
الحكومة التونسية
الحماية الفرنسية
إدارة المديـــــنة

شهادة

يشهد شيخ المدينة رئيس البلدية ضابط التشريفات بأن السيد / أحمد توفيق المدني المولود بتونس في 16 جوان 1899 من جنسية تونسية .

شيخ المدينة .

1-عبد القادر خليفي: **المرجع السابق،** ص 269.

الملحق رقم 03: شهادة جنسية المترجم له بالفرنسية[1]

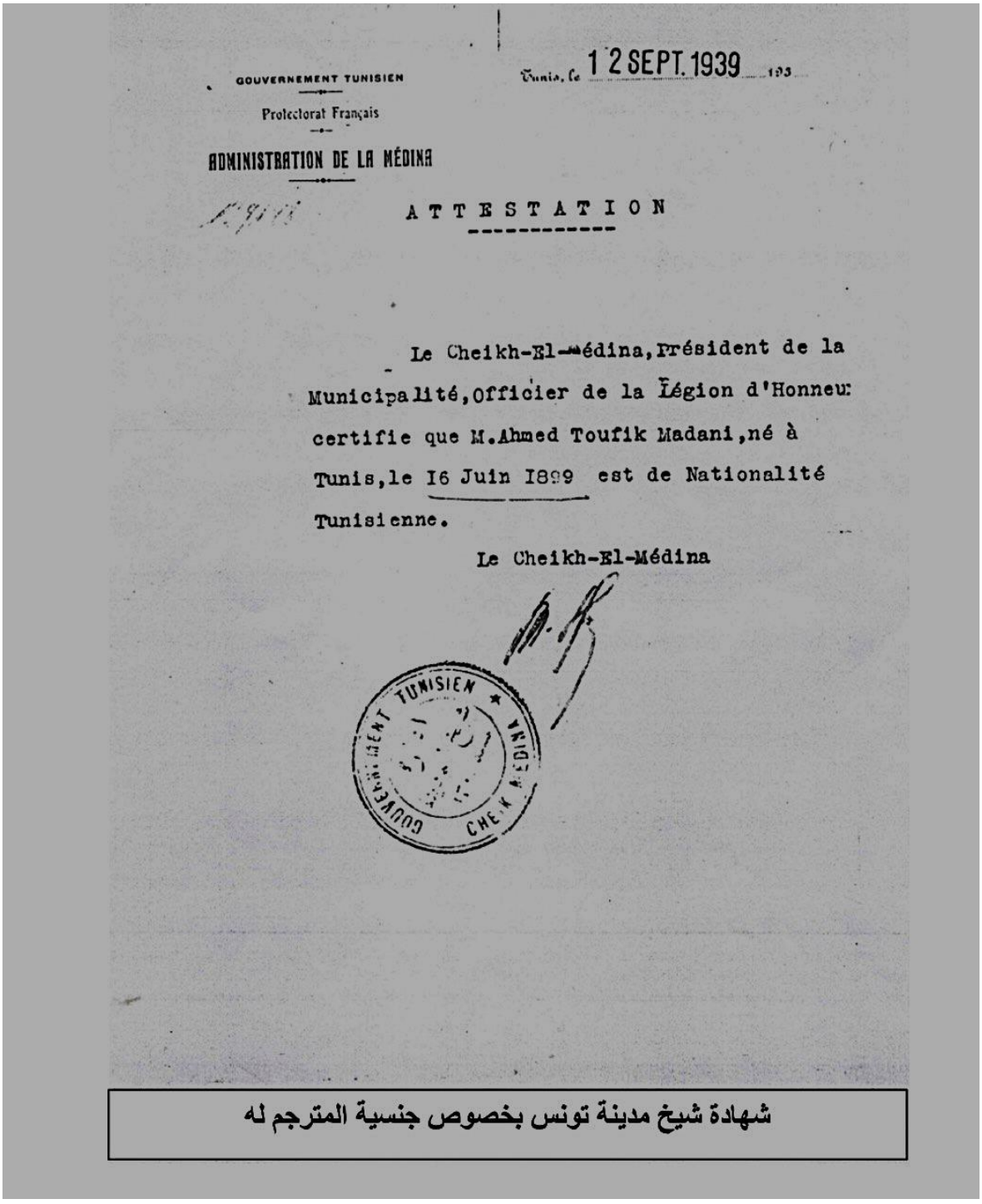

GOUVERNEMENT TUNISIEN

Protectorat Français

ADMINISTRATION DE LA MÉDINA

Tunis, le 12 SEPT. 1939 193

ATTESTATION

Le Cheikh-El-Médina, Président de la Municipalité, Officier de la Légion d'Honneur certifie que M.Ahmed Toufik Madani, né à Tunis, le 16 Juin 1899 est de Nationalité Tunisienne.

Le Cheikh-El-Médina

GOUVERNEMENT TUNISIEN CHEIKH MEDINA

شهادة شيخ مدينة تونس بخصوص جنسية المترجم له

1-عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 261.

الملحق رقم 04: صور لأحمد توفيق المدني[1]

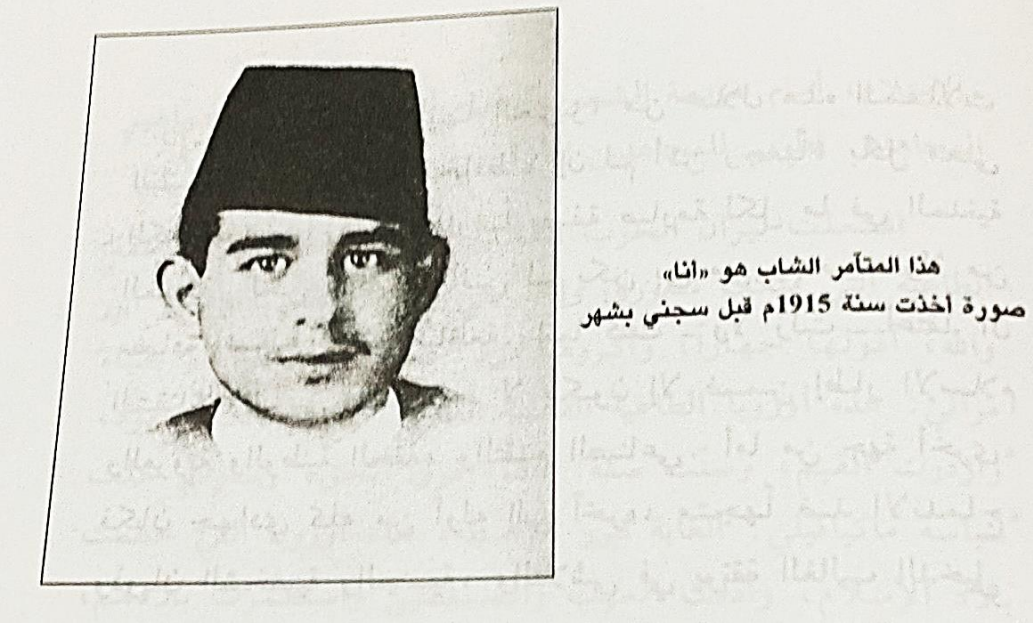

1-حمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص 121، 162.

الملحق رقم 05: مؤلفات المدني

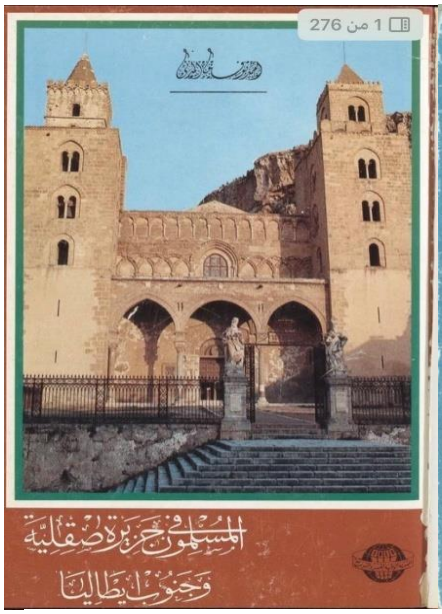

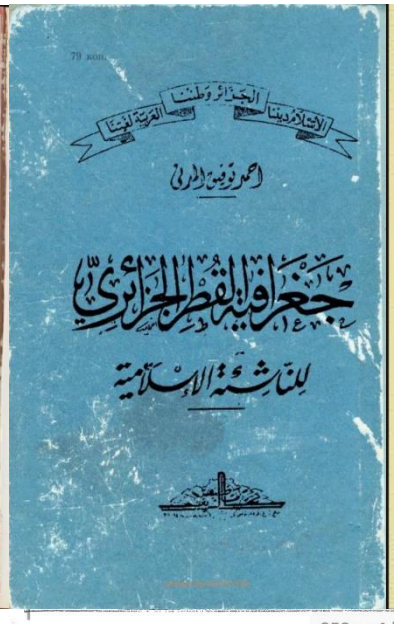

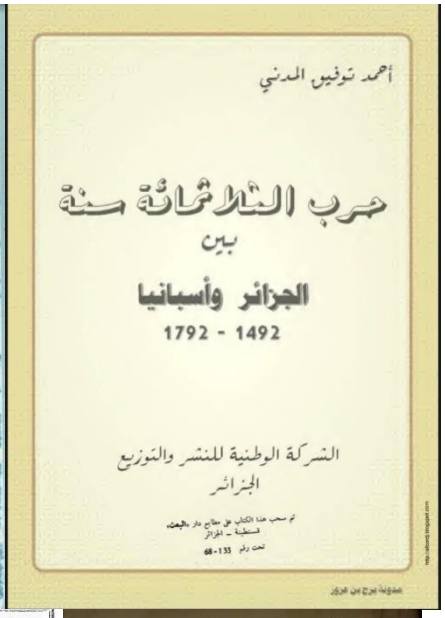

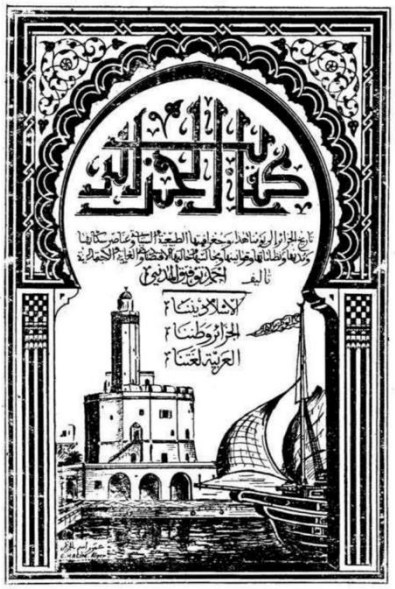

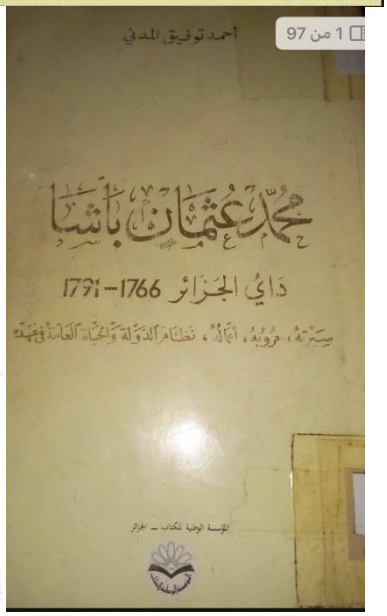

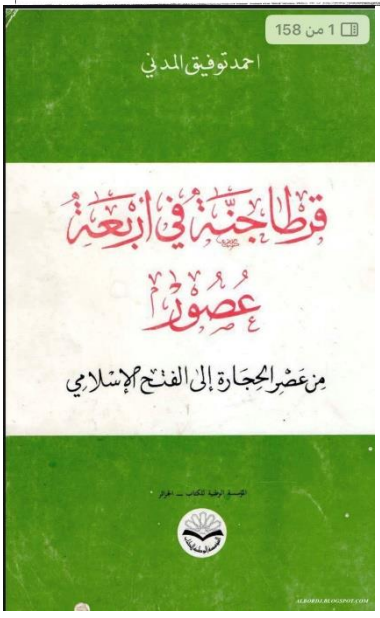

الملحق رقم 06: قصيدة الاعتقال

رشـــــاد

مهلا بُنيّتي إنّني أُنْجِيكِ والجُنْدُ ... قبل طرابلس يأتيك

إنّي رشادُ الدّينِ ليثٌ في الوَغَى ... وسأنقذُ الإسلامَ من حاميك

تـــــونس

ربّي عمّرني طويلا لكي أرى ... محلّي قِشْلة القصّباء رايتنا الحمرا

فـــــرانسه

رفقا يا غليوم رفقا بالتي ... تَجْثُوا أمام عَلْيَاكَ المتعصم

نعم إنّي فرانسه قد قهرت ... وفي هذا دليل للانتصار وقوّتي

فـــــرانسه

نعم سعدي قد أفل ... بالخيبات الأمل

أنـــــكلترا

بالخيبات الأمل

ماذا جرى ربّاه إنّي هالكه ... نزلتْ عليّ مصائب كالصّاعقة

هَذي بَنِي الألمان جاءت تبْتغي ... باريس تَصْليها نِيرانًا حاميه

وذي جُنود الأنكليز قد انْتثتْ ... تبغي مراكزها لعلّها خائنه

أنـــــكلترا

أتضنّي أيّتها البَهيمة أنّني ... أُرسل جُنودي لميادين القتال

لأصونَ أرضك أنتِ يا منْ بِي ... المغرب الأقصى ضيّعت أُلوفًا من الرّجال

لقد ضيّعت مُدرّعات عشرة ... عشرون ألف قضوا حتف الأجال

أَبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانَتِي ... إنّ ذا لَهْو الضّلال

فـــــرانسه

تَعْسًا لك من دولةٍ خَائنة ... طَوَحْتِني في حرْب شعْبٍ قاسيا

فلأستَعنّ بالأُخْرى ولا صَحّ ... عوْنا لأختك يا حبيبتي روسيا

روسيـــــا

باللهِ دَعِيني يا أُخْتي إنّني ... في الهمّ والأحزان والأكدار

قد جاءني الأتْراكُ لمّا كنتُ في ... قليسيا(Galice orient) أَفْتَحُ الأمصار

ساروا إلى القفاز(Caucase) في مجموعهم ... فَتَحُوهُ قصْرًا، واقتفُوا الآثار

قد ضَرتني الألمانُ واستولَوْا على ... أرض بها جمع من الأحرار

أَبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانتي مع ... أنّني في الغمّ والأحزان والأكدار

فـــــرانسه

نعم خُدعت اليوم شرّ خَديعة ... وإنّني حمْقاء وبلهاء مغترّه

تـــــونس

هذا جزاء الظّلم يا فرانسه ... والظّلم مصْرعه وخيمٌ كما ترى

لمّا دَخَلْتِي، إليّ قُلْتِ إنّني ... مُحْتَاجة للعدل وهذا بلا مُرا

ولكن أطرْدت مِنّي العدل مُطلقًا ... والظّلم عن أنيابه قد كشّرا

أَرْشَادٌ فأنقذْني وكَسّرْ قيديا ... وارفع على أرضي لواءً أحمرًا

القصيدة التي نظمها المدني وكانت سببا في اعتقاله سنة 1915.

المرجع: عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص 262، 263.

الملحق رقم : 07

نماذج من الإسهامات الفكرية للشيخ أحمد توفيق المدني بالصحف التونسية خلال الفترة 1900 – 1925

الاسم الصريح أوالمستعار	عنوان المقال	الجريدة أوالمجلة	العدد	تاريخ النشر
أحمد توفيق المدني	المشكلة التونسية	جريدة المشير	/	08 مارس 1920 م
أحمد توفيق المدني	الخلاصة السياسية	جريدة الأمة	/	23 فيفري 1921 م
أحمد توفيق المدني	في عالمي الشرق والغرب	جريدة الأمة	/	24 أفريل 1921 م
أحمد توفيق المدني	الخلافة العظمى	جريدة الاتحاد	/	16 نوفمبر 1922 م
أحمد توفيق المدني	مبايعة الخليفة	جريدة الاتحاد	/	01 ديسمبر 1922 م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 1	جريدة الاتحاد	/	08 ديسمبر 1922 م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 2	جريدة الاتحاد	/	15 ديسمبر 1922 م
أحمد توفيق المدني	في مؤتمر لوزان 3	جريدة الاتحاد	/	22 ديسمبر1922 م
أحمد توفيق المدني	شهر في لوزان	جريدة الاتحاد	/	05 جانفي 1923 م
أحمد توفيق المدني	الموصل والوفد التركي	جريدة الاتحاد	/	12 جانفي 1923 م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع في لوزان	جريدة الاتحاد	/	26 جانفي 1923 م
أحمد توفيق المدني	معركة الموصل	جريدة الاتحاد	/	02 فيفري 1923 م
أحمد توفيق المدني	معاهدة لوزان	جريدة الاتحاد	/	07 فيفري 1923 م
أحمد توفيق المدني	تعديل المعاهدة	جريدة الاتحاد	/	16 فيفري 1923 م
أحمد توفيق المدني	حوادث أزمير	جريدة الاتحاد	/	23 فيفري 1923 م
أحمد توفيق المدني	فوز تركيا بأزمير	جريدة الاتحاد	/	16 مارس 1923 م
أحمد توفيق المدني	الجواب التركي	جريدة الاتحاد	/	30 مارس 1923 م
أحمد توفيق المدني	دروس لوزان	جريدة الاتحاد	/	06 أفريل 1923 م
أحمد توفيق المدني	جواب المتحزبين	جريدة الاتحاد	/	20 أفريل 1923 م
أحمد توفيق المدني	بين الشرق والغرب	جريدة الاتحاد	/	27 أفريل 1923 م
أحمد توفيق المدني	أصداع الحق	جريدة العصر الجديد	/	02 أكتوبر 1923 م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	13 جانفي 1924 م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	17 جانفي 1924 م
أحمد توفيق المدني	الأسبوع السياسي	جريدة العصر الجديد	/	23 جانفي 1924 م
أحمد توفيق المدني	الخلافة الإسلامية	جريدة الزهرة	/	24 مارس 1924 م
أحمد توفيق المدني	أدخل السجن	مجلة العرب	/	1924 م
أحمد توفيق المدني	تطهير الإدارة	جريدة لسان الشعب	/	04 فيفري 1925 م

المصدر :عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 273 .

الملحق رقم 08: الوفد التونسي

الوفد التونسي للحزب الدستوري لمجابهة لوسيان سان ممثل فرنسا بتونس.
من الشمال إلى اليمين: علي القرقوري، أحمد السلامي، أحمد الصافي، سليمان الجادوي صاحب «مرشد الأمة»، حمودة الخماسي. ثم محمد الجعائبي صاحب «الصواب»، علي كاهية، أحمد سلامة، الطيب بن عيسى صاحب «الوزير»، راجح إبراهيم، أحمد توفيق المدني، صالح فرحات، محمد الصالح ختاش، الشاذلي المورالي صاحب «المنير». وهم يمثلون أغلب جهات المملكة.

أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص 224.

الملحق رقم 09: الوفد الثالث للحزب الدستوري الحر

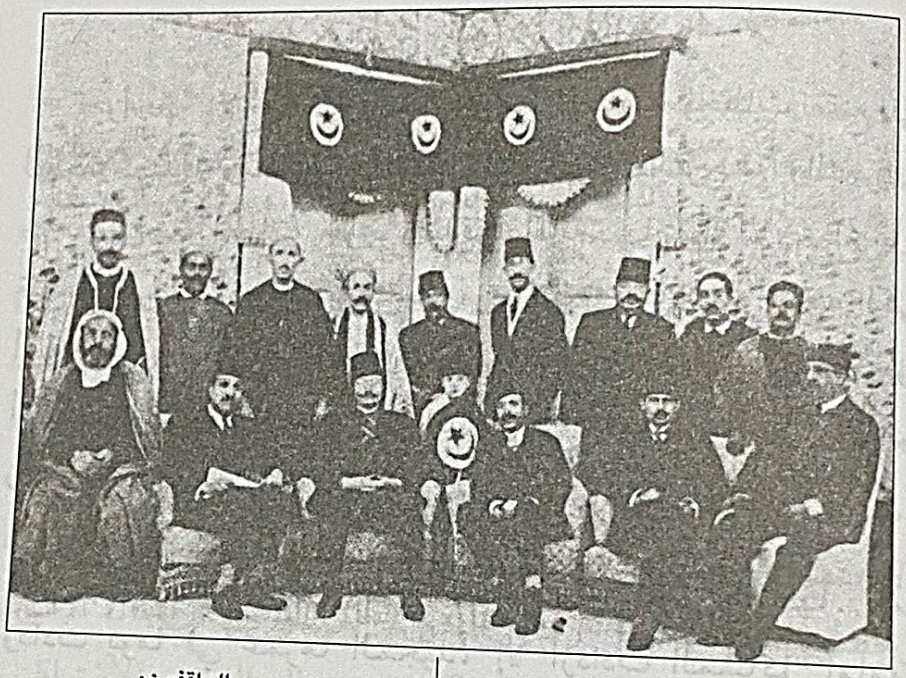

بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس
الجالسون من اليمين إلى اليسار:
1 ـ الشاذلي خزنة دار. 2 ـ أحمد توفيق المدني.
3 ـ الطيب الجميل. 4 ـ أحمد الصافي. 5 ـ صالح فرحات. 6 ـ الشيخ صالح بن يحيى.

الواقفون:
7 ـ زين العابدين السنوسي. 8 ـ محمد الجعايبي. 9 ـ حسين الجزيري. 10 ـ الطاهر آغا. 11 ـ علي بوكرداغة. 12 ـ عبد الرحمٰن اليعلاوي. 13 ـ محيي الدين القليبي.

أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص 339.

الملحق رقم 10: صور شخصيات رافقت المدني في النضال التونسي

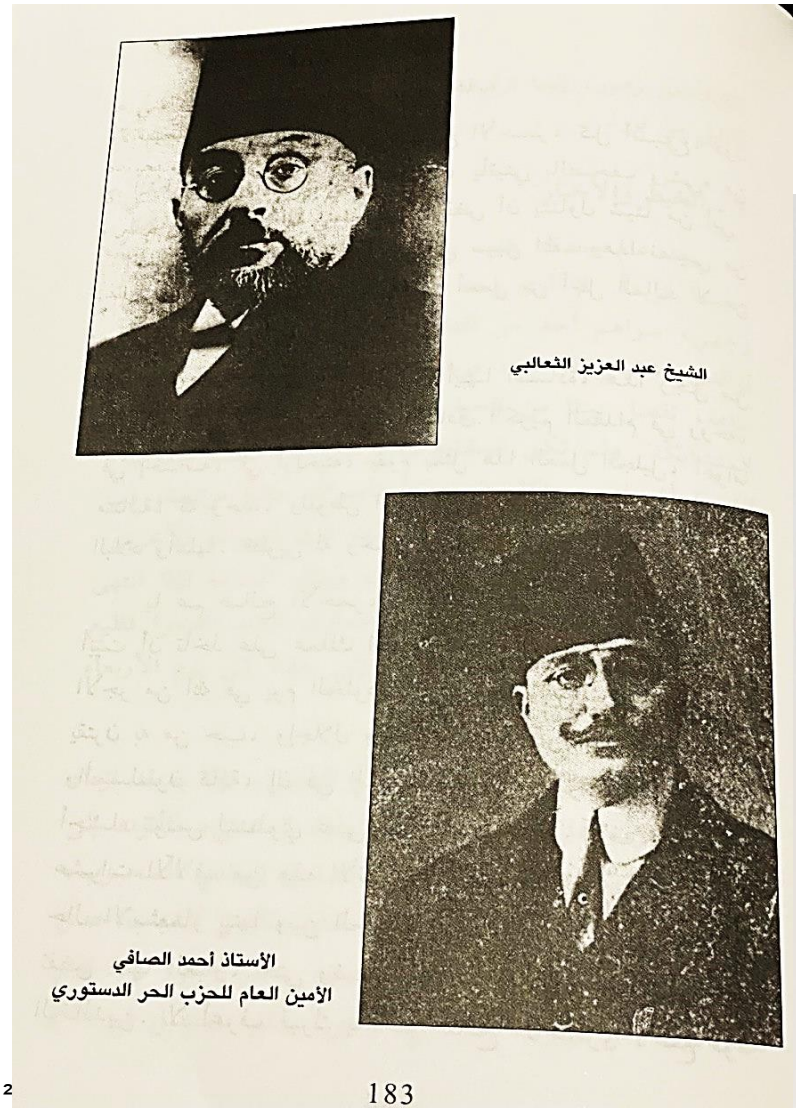

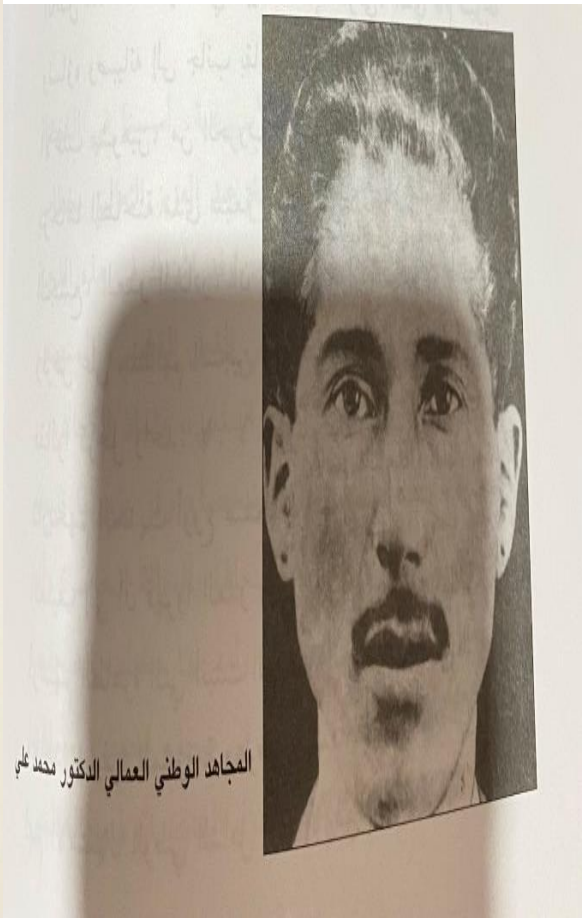

أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح، ج1**، المصدر السابق، ص 332، 183.

الملحق رقم 11: قرار الإبعاد إلى الجزائر

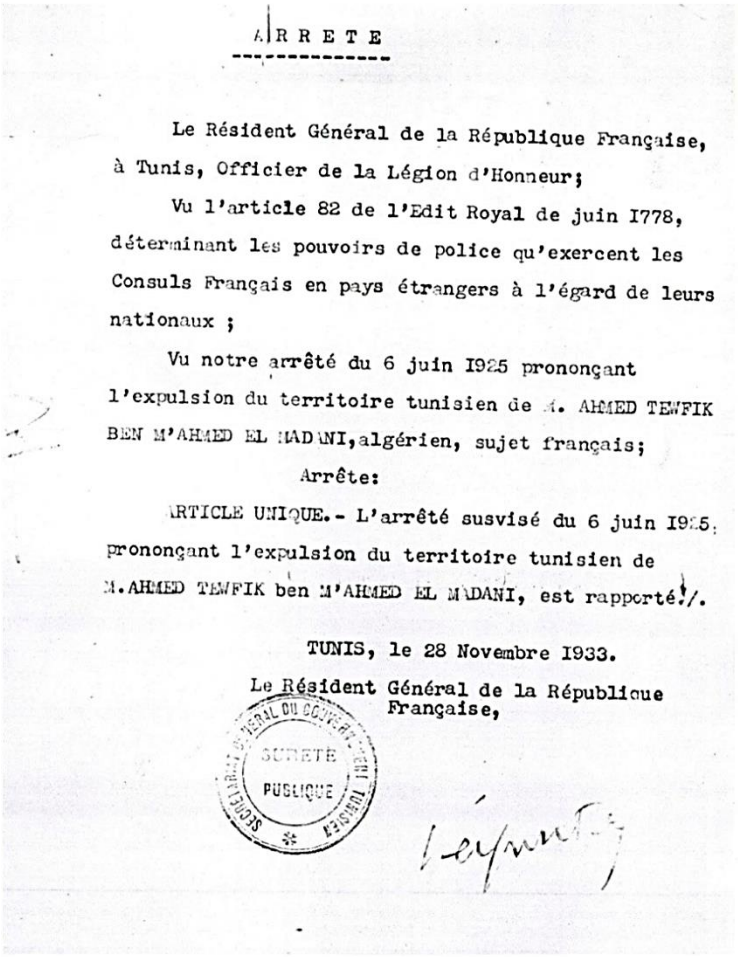

ARRETE

Le Résident Général de la République Française, à Tunis, Officier de la Légion d'Honneur;

Vu l'article 82 de l'Edit Royal de juin I778, déterminant les pouvoirs de police qu'exercent les Consuls Français en pays étrangers à l'égard de leurs nationaux ;

Vu notre arrêté du 6 juin I925 prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M. AHMED TEWFIK BEN M'AHMED EL MADANI, algérien, sujet français;

Arrête:

ARTICLE UNIQUE.- L'arrêté susvisé du 6 juin I925, prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M.AHMED TEWFIK ben M'AHMED EL MADANI, est rapporté./.

TUNIS, le 28 Novembre I933.

Le Résident Général de la République Française,

SECRETARIAT GENERAL DU GOUVERNEMENT TUNISIEN
SURETE PUBLIQUE

قرار إبعاد أحمد توفيق المدني للمرة الثانية من تونس سنة 1933

قرار

إن المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس
-بناء على المادة 82 من الامر الملكي لشهر جوان 1778 الذي يحدد سلطات الشرطة المكلفة بمهام حماية الرعايا الفرنسيين في البلدان الاجنبية
- بناء على قرارنا بتاريخ 06- جوان – 1925 المتعلق بالابعاد من الاراضي التونيسية السيد أحمد توفيق المدني ،جزائري ،رعية فرنسي .

يقـــــــرر

المادة الوحيدة : أنا القرار المشار اليه اعلاه الصادر في 06 جوان 1925 المتعلق بالابعاد من التراب التونسي للمدعو أحمد توفيق المدني ،يتم تأكيده من جديد .

تونس في 28 نوفمبر 1933
المقيم العام للجمهورية الفرنسية

المرجع: عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص ص 266، 265.

الملحق رقم 12: الإعلان عن وفاته

فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله

(و ا ج) ـ انتقل الى جوار ربه فجر امس فضيلة الشيخ احمد توفيق المدني الملقب بالمنصور عن عمر يناهز 85 سنة اثر نوبه قلبيه

ولد الفقيد احمد توفيق المدني بتونس يوم اول نوفمبر 1898 من اسرة جزائرية وتلقى علومه بها من الكتاب حتى جامعه الزيتونة التي بدأ بها نضاله مبكرا ضد الاستعمار وقد اعتقلته الادارة الاستعمارية عدة مرات لكن ارادته الفولاذية في مواجهة الاستعمار

البنيه على ص (3)

رئيس الجمهورية يعزي أسرة الفقيد

(و ا ج) ـ أرسل الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهه التحرير الوطني برقية تعزيه الى اسرة الفقيد الاستاذ توفيق المدني الذي وافته المنية صباح أمس بالجزائر

تشييع جنازة الشيخ أحمد توفيق المدني

(و ا ج) : تم عقب صلاة ظهر امس تشييع جثمان الشيخ احمد توفيق المدني الى مثواه الاخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي (مدينه الجزائر) .

وقد انتقل المؤرخ الجزائري المعروف احمد توفيق المدني الى رحمة الله صباح اول امس بمنزله اثر نوبة قلبية عن عمر يناهز 85 سنة . وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين من الحزب وفي الدولة الى جانب افراد اسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي انضم اليه الفقيد منذ سنة 1973

وفي كلمة التأبين اشير الى مناقب الفقيد وجهوده في التعريف بتاريخ الجزائر القديم والحديث ونضاله السياسي ، واشير بصفة خاصة الى جهوده في استرجاع الكثير من الوثائق عن الحقبة التركية بالجزائر جمعها من مكتبات وارشيفات تركيا واشرف على ترجمتها ونشرها بمجلة التاريخ التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية .

الإعلان عن خبر الوفاة ومراسيم تشييع جنازة المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بالصحافة الوطنية

المرجع: عبد القادر خليفي: **المرجع السابق**، ص 284.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1-بن الحاج يحي الجيلاني، المرزوقي محمد: **معركة الزلاج 1911**، ط 2، الشركة التونسية للتوزيع، 1974 م.

2-الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، دار القدس، بيروت، 1975 م.

3-جوليان شارل أندري: **إفريقيا الشمالية تسير القوميات والسيادة الفرنسية**، تر: المنجى سليم، الطيب المهيدي، الصادق المقدم، الحبيب الشطي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976 م.

4-الزمرلي الصادق: **أعلام تونسيون**، تق وتع: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

5-العقون عبد الرحمان بن إبراهيم: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج1.

6-المحجوبي علي: **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986 م.

7-(.....، .....): **جذور الحركة الوطنية التونسية**، تع : أ.عبد الحميد الشابي، ط 1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999 م.

8-المدني أحمد توفيق: **أبطال المقاومة الجزائرية**، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 م .

9-(.....، .....): **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

10- (.....، .....): **جغرافية القطر الجزائري**، ط1، المطبعة العربية، 1948م.

11- (.....، .....): **جغرافية القطر الجزائري**، ط 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1952م.

12- (.....، .....): **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792** م، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، (د. س).

13- (.....، .....): **حنبعل**، (د. ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

14- (.....، .....): **حياة كفاح**، دار البصائر، الجزائر، 2008 م، ج 1.

15- (.....، .....):**حيـــاة كفـــاح**، الشـركة الوطنيــة للنشـروالتوزيع، الجزائـر، 1983م، ج 2.

16- (.....، .....): **حيـــاة كفـــاح**، دار البصـــائر للنشـر والتوزيـع، الجزائـر، 2009 م، ج1.

17- (.....، .....): **رد أديـــب علـــى حملـــة أكاذيـــب**، (ط . خ)، وزارة المجاهدين.

18- (.....، .....): **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1350 هـ.

19- (.....، .....): **محمـد عثمـان باشـا داي الجزائـر (1766 – 1791)، سيرته حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 م.

20- (.....، .....): **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 م.

21- (.....، .....): **هـذه هـي الجزائـر**، (د. ط)، مكتبـة النهضـة المصـرية، القاهرة، 1956 م.

22- (.....، .....): **هذه هي الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، 2009 م .

23- (.....، .....): **محاضـرات فـي اللغـة والفكـر والتـاريخ**، دار البصـائر، الجزائر، 2009 م.

ثانيا :<u>المراجع بالعربية</u>

1-اتحاد المؤرخين الجزائريين: **المدرسة التاريخية الجزائرية** ، ط 1، وسام نبراس للإعلام والنشرو الإشهار، الجزائر، 1998 م.

2-أجيرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، بيروت، 1982.

3-(.....، .....): **المسلمون الجزائريون وفرنسا، 1871 – 1919**، تر: محمد الحاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2017 م، ج2.

4-إسماعيل أحمد: **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 2004 م.

5-بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، (د. ط)، دار المعرفة الجزائر، 2006م، ج 1.

6-بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 م.

7-بوعزيز يحي: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007 م.

8-تركي رابح: **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.

9-الجابري محمد الصالح: **الأدب الجزائري في تونس (1900 – 1962)**، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، 1991م، ج 1.

10- (.....، .....): **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983م.

11- (.....، .....): **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر العاصمة، 2007 م.

12- جلال يحي: **المغرب الكبير**، دار القومية للطباعة والنشر، باريس، 1992 م .

13- جلال يحي، والناضوري رشيد وآخرون: **تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر**، الفترة المعاصرة، ط 3، دار القومية للطباعة والنشر، القسم 2، 1966 م، ج3.

14- حربي محمد: **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر:نجيب عباد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994م.

15- حلوش عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010 م.

16- حمدان محمد : **أعلام الاعلام في تونس**، ط1، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، تونس، 1991م.

17- الذوادي رشيد: **أعلام بنزرت**، دار الغربي العربي، تونس، 1971م.

18- الزبيري محمد العربي: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1984م.

19- (.....، .....): **تاريخ الجزائر المعاصر**، (د. ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ج1.

20- زكريا مفدي: **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، جمع وتح: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003 م .

21- زهيرة لين نصيرة: **التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1080 – 1962)**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م .

22- زوزوعبد الحميد: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 م.

23- سعد الله أبوالقاسم: **الحركة الوطنية الجزائية**، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج2.

24- (.....، .....): **تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ج8.

25- (.....، .....): **أبحاث واراء في تاريخ الجزائر**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ج4.

26- (.....، .....): **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. س) .

27- (.....، .....): **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج 8.

28- سعدي عثمان: **الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة1954**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

29- سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله**، ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000 م.

30- سيف الإسلام الزبير: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ج 1.

31- (.....، .....): **تاريخ الصحافة في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 م، ج 4.

32- شافورضوان: **انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830 – 1954** .

33- شترة خير الدين: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، 1900 –1939**، دار البصائر، الجزائر، 2009 م.

34- (.....، .....): **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، داركوداده للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013.

35- (.....، .....): **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة، 1900- 1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

36- الشريف محمد الهادي: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع:محمد الشاوش، محمد عجينة ، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

37- الشيخ أبوعمران وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995م.

38- صاري جيلالي: **بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950**، (د .ط)، الجزائر، 2007م.

39- الصديق محمد الصالح: **شخصيات فكرية وأدبية**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2002 م .

40- الطمار محمد: **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د . س .ن).

41- عبد الله الطاهر: **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956**، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسه، تونس، 1990 م .

42- عمراوي حميدة وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 – 1916**، دار الهدى، 2009 م.

43- عمورة عمار: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

44- الغالي بلقاسم: **من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره**، دار بن حزم، بيروت، 1997 م .

45- فرحات الكاملة: **تاريخ الحركات الوطنية المغاربية**، سامي للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، 2024 م.

46- فركوس صالح: **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م – 1962 م)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002م.

47- فضلاء محمد حسن: **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 4، دار هومة، 2000 م.

48- القصاب أحمد: **تاريخ تونس المعاصر(1881 – 1956)**، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس ط1، 1986م .

49- قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م.

50- قنانش محمد: **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د . س).

51- لونيسي رابح: **دراسات حول ايدلوجية وتاريخ الثورة الجزائرية**، ط 2، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2012.

52- محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، 1994،ج 1.

53- (.....، .....): **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط 4، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985 م، ج4.

54- مدني بشير: **أحمد توفيق المدني، معلم من معالم المدرسة التاريخية**، ط 1، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998م.

55- المركز الخطابي للدراسات: **الملحمة الجزائرية**، السياق التاريخي لثورة التحرير الجزائرية (1954 – 1962) وأبعادها السياسية والاجتماعية والعسكرية، سوريا، 2022 م.

56- مقلاتي عبد الله : **المرجع في تاريخ الجزائرالمعاصر1830- 1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014 م.

57- ناصر محمد: **المقالة الصحفية الجزائرية " نشأتها تطورها، أعلامها "من 1903 إلى 1930**، مكتب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2014 م، ج1.

58- الوافي سمية: **كتابات الجزائريين في الصحف التونسية 1906 - 1949**، جامعة سيدى بلعباس، 2022.

59- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980 م.

ثالثا : <u>المجلات والجرائد</u>:

1-بن عاشور محمد الفاضل: "الشيخ صالح الشريف"، **المجلة الزيتونية**، المجلد، أفريل، 1952 م، ج2.

2-التليلي العجيلي: **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876 -1981م**، المكتبة الشاملة السّنية، دار الجنوب – تونس الأولى، 2005.

3-**جريدة البصائر**، عدد16، الجزائر، 24 أفريل، 1936 .

4-جريدة الشعب: العدد 6214 ، الجزائر، 20 أكتوبر 1983 .

5-خليفي عبد القادر: "الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية، دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1950م"، **مجلة أبحاث ودراسات**، (د.ع)، جامعة زيان عاشور، (د .س) .

6-شترة خير الدين:" الطلبة الجزائريون بتونس وإسهاماتهم في العمل التونسي خلال (1900 – 1945)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد1، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة الشارقة، 2020 م.

7-(.....، .....): "النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-"1956، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع7، ديسمبر، 2012 م.

8-(.....، .....): "الهجرة الجزائرية نحو جامع الزيتونة بتونس وأثرها على الحياة العلمية بالجزائر خلال (1900-1962)"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، الامارات العربية المتحدة، المجلة 5، العدد 10، ديسمبر، 2019 م .

9-صيود هادية: "أحمد توفيق المدني الوسط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه "حياة كفاح""، **مجلة عصور الجديدة**، مج8، ع 1، مندوبة تونس، شتاء- ربيع (ماي) 1439 هـ/2017م.

10- عطلاوي عبد الرزاق: **إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين (1900-1954)، البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا**، المؤتمر الدولي التاسع الجزائري، جامعة محمد بوضياف، 2015 م .

11- معوشي أمال: "أحمد توفيق المدني لمحة عن اسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية"، **مجلة البحوث التاريخية**، مج 03، ع 01، مارس 2019م .

12- واضح مداني: "أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925- 1954"، **مجلة تاريخ المغرب العربي**، العدد 1، مج08، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، تاريخ الإرسال 29 -09 - 2018، تاريخ القبول 06 - 06 - 2022، جامعة الجزائر2، جوان 2022 م .

رابعا : <u>الرسائل الجامعية :</u>

1-بن جابو أحمد: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2011م .

2-بوسته حنان، عابدي أحلام: **أحمد توفيق المدني حياته وأعماله 1898- 1983م** ، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2018 - 2019 م.

3-بوعزيز أميرة ، عبدي إيمان: **أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925 -1954** ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2016 - 2017 م .

4-تركي صبرينة، جلالي نادية: **البعثات العلمية إلى تونس وأثرها في الأدب الجزائري الحديث**، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ، قسم اللغة وآدابها، جامعة ولحاج البويرة، 2011/ 2012 م .

5- التونسي صابرينة : **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 / 1954**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة العربي بن مهيدي السنة الجامعي 2019/2018 م.

6-حسني إيناس، بن سعدون هالة : **أحمد توفيق المدني والمسيرة النضالية 1899-1983م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2021 - 2022 م .

7-خليفي عبد القادر: **أحمد توفيق المدني، ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899 - 1983**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الإنسانية 2006 2007، جامعة منتوري، قسنطينة 2007/2006 م .

8-سلمي خليل: **المهاجرون الجزائريون في البلاد العربية ونشاطهم تجاه الثورة الجزائرية 1962/1954**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012 م.

9-هدلي فدوى، قوادري نعيمة: **أحمد توفيق المدني مؤرخا 1899 – 1983م**، مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2019 – 2020 م.

خامسا: المواقع الالكترونية بالفرنسية:

1- https://www.elmadani.org/fr/biographie/.
2- https://inkyfada.com/fr/2021/11/08/dessous-des-dates-7-8ovembre-1911-revoltes-jellaz-tunisie/
3- https:// wwwelmadaniorg/fr/presence-de-tewfik-el-madani-par-ahmed-cheniki/

فهرس الموضوعات:

الشكر والتقدير
الاهداء
مقدمة.....أ
الفصل الأول: هجرة الجزائريين إلى تونس 6
المبحث الأول: دوافع الهجرة.....7
المطلب الأول: الدوافع السياسية والاقتصادية 7
المطلب الثاني: الدوافع الاجتماعية 14
المطلب الثالث: الدوافع الثقافية والدينية 17
المبحث الثاني: آثار هجرة الجزائريين إلى تونس 22
المطلب الأول: آثارها على التونسيين.....22
المطلب الثاني: آثارها على الجزائريين.....33
الفصل الثاني أحمد توفيق المدني حياته وآثاره 37
المبحث الأول: المولد والنشأة 38
المطلب الأول: مولده 38
المطلب الثاني: نشأته.....40
المطلب الثالث: تعليمه:.....43
المبحث الثاني: المؤلفات والوفاة.....47
المطلب الأول: مؤلفاته 47
المطلب الثاني: وفاته 54

الفصل الثالث: دور أحمد توفيق المدني في تونس 59
المبحث الأول: دوره الثقافي 60
المطلب الأول: العمل الصحفي 60
المطلب الثاني: التأليف 63
المطلب الثالث: تأسيس منتديات الفكر والعلم والثقافة 65
المبحث الثاني: دوره السياسي 68
المطلب الأول: المشاركة في أحداث الزلاج والتفاعل مع أحداث الحرب العالمية الأولى 68
المطلب الثاني: اسهاماته السياسية بعد الحرب العالمية الأولى 76
المطلب الثالث: الابعاد من تونس إلى الجزائر وردود الأفعال على ذلك 83
خاتمة: 88
الملاحق 91
قائمة المصادر والمراجع: 104
فهرس الموضوعات: 113

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور المحوري الّذي لعبته النّخبة الجزائرية في تونس من خلال مقاومة الاستعمار الفرنسي ثقافيا وسياسيا، ومن أجل ترسيخ الهوية العربية الإسلامية، ومن أبرز المفكرين والمصلحين والذي لم يأخذ حقه في دراسات سابقة كثيرة وهو المؤرخ والصحفي"أحمد توفيق المدني " الذي كان نموذجا بارزا لهذه النخبة خلال الفترة 1900 إلى 1925، وهو ابن عائلة جزائرية هاجرت إلى تونس، من مواليد 1899 م بتونس، جمع بين الكتابة التاريخية والصحفية، اذ لعب دورا بارزا في اثراء الحياة الفكرية عبر مساهمته الفكرية ومشاركته في تأسيس الجمعيات والصحف التي كانت منابر للدعوة إلى الإصلاح والتغيير وتحرير المجتمع التونسي من قيود الاحتلال، ومن الناحية السياسية انخراطه في صفوف الحركات المناهضة للاحتلال خاصة من خلال نشاطه في الحزب الحر الدستوري، حيث سعى الى توعية الجماهير والدفاع عن قضايا الحرية، إلى أن نفي إلى الجزائر عام 1925م فكان المنفى منبرا للنضال والجهاد ليس في الجزائر وتونس فحسب بل على المستوى العربي.

Abstract:

This study aims to shed light on the pivotal role played by the Algerian elite in Tunisia through their cultural and political resistance to French colonialism and their efforts to uphold the Arab-Islamic identity. Among the most prominent intellectuals and reformers—who has not received sufficient attention in many previous studies—is the historian and journalist **Ahmed Toufik El Madani**. El Madani was a prominent example of this elite during the period from 1900 to 1925. He was born in Tunis in 1899 to an Algerian family that had emigrated to Tunisia. He combined historical writing with journalism and played a significant role in enriching intellectual life through his contributions and his participation in the founding of associations and newspapers that served as platforms for calls for reform ، change ، and the liberation of Tunisian society from the constraints of colonialism.Politically ، he was actively involved in anti-colonial movements ، particularly through his activities within the **Destour Party (Constitutional Liberal Party)** ، where he sought to raise public awareness and defend the causes of freedom. In 1925 ، he was exiled to Algeria ، and exile became a new platform for struggle and resistance—not only in Algeria and Tunisia but also across the Arab world.